الاستبشار بالقرآن

بسم الله الرّحمن الرحيم

أخواتنا الفاضلات، إليكن سلسلة تفاريغ من دروس أستاذتنا الفاضلة أناهيد السميري حفظها الله، وفّق الله بعض الأخوات لتفريغها، ونسأل الله أن ينفع بها، وهي تنزل في مدونة (عِلْمٌ يُنْتَفَعُ بِهِ)

https://anaheedblogger.blogspot.com/

تنبيهات هامة:

- ✓ منهجنا الكتاب والسّنة على فهم السّلف الصالح.
- ✓ هذه التّفاريغ من اجتهاد الطّالبات ولم تطّلع عليها الأستاذة حفظها الله.
- ✓ الكمال لله –عزَّ وجلَّ–، فما ظهر لكم من صواب فمن الله وحده، وما ظهر لكم فيه من خطأ فمن أنفسنا والشّيطان، ونستغفر الله.

والله الموفّق لما يحبّ ويرضى.

اللقاء الأول

اللقاء الأول ألقي يوم الأحد 12/ 10/ 1437هـ

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

نبتدئ هذا الموسم في دورتنا الصيفية بهذه اللقاءات الثلاثة التي عنوانها: **الاستبشار بالقرآن**.

وهذا العنوان إنما هو منتزع من الآية العظيمة التي في أواخر سورة التوبة، والتي فيها تمييز بين أهل الإيمان وأهل النفاق حال سماعهم كلام الله.

وهذه السورة كما تعرفون من أعظم الأدلة الدالة على أن هذا الكتاب العظيم الناس يختلفون في ردة فعلهم عليه؛ فهذا الكتاب كتاب هُدَى، قال الله –عزَّ وجلَّ– في سورة البقرة مخبرًا عن هذا الكتاب أنه هدىً للناس: {هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ}[1]، فمعناه أننا نفهم أن هذا الكتاب العظيم يهدي جميع الناس إلى الصراط المستقيم.

لكننا نرى كثير من الناس يسمعون القرآن ولا يهتدون به؟! ليس هذا فقط بل كثير من أهل الفرق الذين افترقوا عن دين الإسلام أخذوا في افتراقهم آية معهم، مثلًا:

- الخوارج هم أشهر من نسمع عنهم الذين يرون تقتيل المسلمين دينًا، هؤلاء يحفظون آيات من القرآن ويستشهدون بها على ما يفعلون.
- وعكسهم تمامًا المرجئة الذين يتركون العمل ويقولون: يكفي في الإيمان القلب! أيضًا معهم آيات من كتاب الله يستدلون بها على هذا المعنى.

إذًا معنى ذلك أن الناس ليس فقط مهتدٍ لكتاب الله ومنتفع منه، وضالّ عن كتاب الله وغير منتفع منه، بل هناك فرقة أعظم من هؤلاء، هناك من دخل الضلالة بأخذه آية من كتاب الله! فالناس يختلفون حول كتاب الله، والصائم الذي صام والقائم الذي قام وهو صادق في إقباله على ربه، لا بد أنه يكون قد سمع من القرآن العظيم ما يهديه إلى الصراط المستقيم إن كان صادقًا. أما إن كان كاذبًا فإنه لا يسمع من القرآن إلا ما يؤيد هواه، والذي لا يؤيد هواه كأنه لا يسمعه! ولذا ونحن نناقش موضوع الاستبشار، لابد قبل أن نتكلم عن الاستبشار، أن نتكلم عن أصل المسألة: **الاستبشار** كما تبيّن لنا مُنتزع من الآية التي في أواخر سورة التوبة:

الله–عزَّ وجلَّ–يقول: {وَإِذَا مَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِ إِيمَانًا ۚ فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ}[2]

{وَإِذَا مَا أُنزِلَتْ} معناه أن القرآن مُنزّل من عند الله.

{وَإِذَا مَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ} أي سورة من القرآن في عهد النبي–صلى الله عليه وسلم–، وكما سنسمع في كلام ابن عطية يقول: "وكل مَن تجدد له علم كأنه بمثابة من أُنزِل عليه سورة"[3] انظروا لموقفنا نحن الآن لو نريد أن نرى أنفسنا بالنسبة لهذه الآية {وَإِذَا

(1) [سورة البقرة: 2]
(2) [سورة التوبة: 124]
(3) قال ابن عطية: "وهذا حكم من يتعلم العلم في معنى زيادة الإيمان ونقصانه إلى يوم القيامة، فإن تعلم الإنسان العلم بمنزلة نزول سورة القرآن". المحرر الوجيز:4/437-438.

مَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ}، اليوم انتهى الوحي كما هو معلوم وانتهى نزول السور فكيف سنُقَدِر أنفسنا بالنسبة لهذه الآية؟ ذكر ابن عطية أن كل إنسان تَجدد له علم بسورة يصبح بالنسبة له بمنزلة النزول.

{وَإِذَا مَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ} ننظر الآن لردود فعل الناس–الذين ظاهرهم أنهم مؤمنين–ينقسمون إلى فريقين:

{فَمِنْهُم} من هؤلاء الذين يسمعون السورة {مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِ إِيمَانًا}، أَيُّكُمْ: مَن فيكم زادته هذه إيمانًا؟ وعندما تقرؤون تفسير هذه الآية تجدون أن المفسرين بين قولين:

بين أن المنافقين:

ربما سأل بعضهم بعض: أيكم زادته هذه إيمانًا؟

- وربما سألوا المؤمنين من أجل أن يشككوهم.

هذا السؤال: {أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِ إِيمَانًا} يدلنا على شيء مهم وهو أن المنافقين كالمؤمنين يتوقعون أنه إذا قرؤوا الآيات تزيدهم إيمانًا، فيجيب الله–عزَّ وجلَّ–عليهم ويصف لنا الحالة التي يجب أن نكون عليها فيقول: {فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ}، هذا معناه أن هناك وصفين للذين آمنوا:

1. أن الآيات التي يسمعونها تزيدهم إيمانًا.
2. أنهم كلما سمعوا الآيات يحصل لهم الاستبشار.

أما زيادة الإيمان فهذا موضوع واسع عظيم لا بد من إعطاء نبذة عنه قبل أن ندخل على الأمر الثاني وهو **الاستبشار**...

صفات المؤمنين

قبل أن ندخل في التفاصيل نفكر جيدًا، هذه الصفات صفات المؤمنين بمعنى أن فُقدَانها لا بد أن ينقل الإنسان إلى الجهة الأخرى وهي جهة المنافقين. وكل مرة تقرأ في القرآن وصفًا للمؤمنين لا بد أن تحقّقه، أي تفتّش عنه لكي تصل إلى تحقيقه أو البحث عنه أو التأكد من وجوده، بحيث أن القرآن يكون الحبل الذي نتمسّك به لننجو.

- عندما تُعرض عليك أوصافًا للمؤمنين، أفعالًا للمؤمنين، مشاعرًا للمؤمنين، مواقفًا للمؤمنين، تجتهد في تحقيقها.
- وعندما تعرض عليك مواقفًا للمنافقين، أحوالًا للمنافقين، مشاعرًا للمنافقين، ردودًا لفعل المنافقين، تحذر منها.

فالإيمان ليس اسم يأخذه الإنسان من الولادة، إنما هو وصف يصله الإنسان من الجِد والسعي في طريق ربه، فلنجعل أول السعي هو هذا الشهر الذي مرّ علينا أسأل الله أن يقبل منا أعمالنا.

أول السعي سنجعله هذا الشهر، ثم إذا سعيت كما ينبغي في ذاك الشهر أهم شيء تخرج به: أنك قرأت القرآن مرَّات، وسمعته مرَّات، ووقفت عند آيات كثيرة مرَّات، وبقي عليك أن الذي سمعته وقرأته ووقفت عنده تتأمله، وترى أوصاف المؤمنين فيه بصورة جيدة وأوصاف المنافقين؛ من أجل أن تكون من هؤلاء، وتبعد أن تكون من هؤلاء. هذه الآية في أواخر سورة التوبة وصف واضح تمامًا الذين آمنوا هم الذين يزدادون إيمانًا، وأيضًا حالتهم الأخرى أنهم {يَسْتَبْشِرُونَ}.

في هذا اللقاءات–سنفهم بشيء من الإجمال معنى (ازدادوا إيمانًا)، وبشيء من التفصيل معنى أنهم (يستبشرون)، اليوم خاصة يستبشرون؛ بسبب أننا نفتح أعيننا وآذاننا كل يوم على شأن ما وراءه استبشار، على شؤون محزنة. وأظن أواخر هذا الشهر الكريم

وأوائل هذا الشهر الذي نحن فيه كانت من المواقف الكثير التي حصلت وهزت الوجدان، وأمور ما كنا نتوقعها حصلت وهذا كله يسبب دبيب اليأس إلى قلوب المؤمنين، لكن هذا اليأس ما هو إلَّا من الشيطان.

المؤمنون الذين يعرفون سنَّة الله يستبشرون كلَّما قرؤوا القرآن، ويعرفون أنه كما أنّ الله-سبحانه وتعالى-: {يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ}[1] أنّ مهما اشتدّت الأوضاع وأظلمت الأمور وزاد طغيان الطاغين وزاد تبجّح هؤلاء القوم الذين تعدّوا الحرمات وأغفلوا كل حدود حتى الإنسانية، أنه مهما زاد تبجحهم سيعود الأمر ويستقرّ وسيعود أهل الإسلام إلى مكانهم ويرتفع دين الله-عزَّ وجلَّ-وتذهب هذه الأمور التي دخلوا فيها دون أن يعقلوها، إنما ابتلينا بها بلاءً نسأل الله-عزَّ وجلَّ-أن يرفع عنا.

فهذا وإن كان يُظن أنه ليس وقت للاستبشار لكن في الحقيقة هو وقت للاستبشار، فكلما زادت الحُلكة والظُّلمة كلَّما اقترب الفجر، وأنتم تعرفون في سنَّة الله-عزَّ وجلَّ-في خلقه للكون أن أكثر وقت فيه حُلكة هو آخر وقت لليل ثم يأتي الفجر وينقشع هذا الظلام كله، ويعود أهل الإسلام ويظهر الإيمان ويستبشر المؤمنين بما جعل الله لهم من بشارات. لكن المؤمن الحق ما ينتظر الأمور تصبح علنًا، المؤمن الحق يؤمن بالغيب، فتكون الأمور في الغيب وهو يراها كأنها واقعة ويقسم بالله أن كل هذا الظلام سيذهب ولا بد من نور وراءه، كما أن أي واحد ينظر في الساعة ويراها مثلًا الرابعة إلا ربع صباحًا فجرًا يقول: (كلها ساعة والنور سيملأ المكان) مستعد أن يُقسم على ذلك، لماذا؟ لأنه يدرك ذلك بحسّه، صاحب الإيمان يدرك ذلك بإيمانه، لا بد أن تقع كل البشارات التي وردت في كتاب الله ووردت في سنَّة النبي-صلى الله عليه وسلم-. سنرى إن شاء الله هذه البشارات، ونرى أيضًا وقوعها ونرى أنها قد تحمل كلمة بشارة في القرآن، قد تحمل هذه الكلمة معنى أنهم يُبشرون في الدنيا، وقد لا تحمل نفس كلمة البشارة، وقد تحمل معنى عكسي.

- مثلًا تجد في كتاب الله-عزَّ وجلَّ-المؤمنين يستبشرون بنصر الله، يفرحون بنصر الله كما في أوائل سورة الروم، قال تعالى: {وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ بِنَصْرِ اللَّهِ يَنصُرُ مَن يَشَاء وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ}[2] هذا في كلمة الفرح والاستبشار، هذا واضح، تجد كلمة الاستبشار، الفرح موجودة في الآيات.

ليس هذا فقط ما نستبشر به إنما أيضًا سيتبين لنا أننا سنستبشر ببعض السنن العجيبة من سنن الله.

- مثلا تسمعون في غافر قوله تعالى: {إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ}[3] هذه نستبشر بها لأي سبب؟ نقول: إن القوم ما داموا زادوا إسرافًا وزادوا طغيانًا ماذا ستكون نهايتهم؟! لا يمكن أن يهديهم الله ولا بد أن يظهر عوارهم ولا بد أن يظهر ما فيهم من خبث. هم تَعدّوا وقتلوا مسلمين، فعلوا وفعلوا إلى أن وصلوا إلى المدينة التي أخبر فيها النبي-صلى الله عليه وسلم-أن من يعتدي فيها يذوب كما يذوب الملح في الماء[4].. الله لا يهدي من هو مسرف كذاب، كن متيقِّنًا أن هذه إنما هي بشارة حتى لو لم يظهر في ظاهرها أنها بشارة.

---

(1) [سورة فاطر: 13]

(2) [سورة الروم: 4-5]

(3) [سورة غافر: 28]

(4) صحيح مسلم، كتاب الحج، بَابُ مَنْ أَرَادَ أَهْلَ الْمَدِينَةِ بِسُوءٍ أَذَابَهُ اللهُ، 492. عَنْ أَبِي عَبْدِ اللهِ الْقَرَّاظِ، أَنَّهُ قَالَ: أَشْهَدُ عَلَى أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّهُ قَالَ: قَالَ أَبُو الْقَاسِمِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((مَنْ أَرَادَ أَهْلَ هَذِهِ الْبَلْدَةِ بِسُوءٍ-يَعْنِي الْمَدِينَةَ-أَذَابَهُ اللهُ كَمَا يَذُوبُ الْمِلْحُ فِي الْمَاءِ)).

إذًا نحن نتكلم عن أنواع البشارات وكيف يجب أن تكون عقيدتنا في الاستبشار، كيف أننا لا بد أن نكون مستبشرين متيقنين لا يوجد في نفوسنا أي شك في هذه البشارة.

أهل الإيمان واليقين مستبشرين؛ لأنهم متيقنين؛ ولذا لا بد أن نقدم قبل الكلام عن الاستبشار ونتكلم عن نفس الإيمان.

أذكركم بالآية مرة أخرى الله–عزَّ وجلّ–يجيب على سؤال المنافقين: {وَإِذَا مَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِ إِيمَانًا} يردّ الله–عزَّ وجلّ–{فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ} إذًا أنت مؤمن كل آية تتعلمها وتسمعها من كتاب الله ستفعل فيك فعلين:

1. الفعل الأول أنك ستزداد إيمانًا.
2. والفعل الثاني أنك ستستبشر بما في كتاب الله.

الثاني معتمد على الأول، حصول الاستبشار معتمد على حصول الإيمان. فنحن نناقش اليوم–إن شاء الله–بالإجمال حصول الإيمان، ثم إن شاء الله نبدأ في بيان أن الاستبشار معتمد على قوة الإيمان.

ما حال المؤمنين؟ حالهم أنهم كلما سمعوا آية من كتاب الله زادتهم هذه الآية إيمانًا. كيف ستزيدهم آيات كتاب الله–عزَّ وجلّ–إيمانا؟

الإيمان هو التصديق اليقيني، المؤمن هو الذي يسمع خبرًا من الأخبار الغيبية فيصدقها تصديقًا يقينيًا، عندما نقول: تصديق يقيني معناه أننا نتكلَّم عن الأخبار وليس الأوامر. هل الأخبار لها علاقة بالأوامر؟ سيتبين لنا أن لها علاقة بالأوامر، لكن أول ما نقول: **الإيمان** إذًا نحن نتكلم عن الأخبار.

كل خبر يسمعه المؤمن من القرآن ينزل في قلبه أنه خبر تكلم به الله والله كلامه كله صدق، إذًا ما يُخبِر به–سبحانه وتعالى–حق يقيني، تحتاج أن تتعامل معه على أنه يقين. فمثلًا تسمع عن بداية الخليقة، وتسمع أن الله–عزَّ وجلّ–خلق آدم–عليه السلام–وأسجد له الملائكة، هذا الخبر لا يتطرق إلى قلبك أي شك فيه، ولا تحتار في بداية الخليقة ولا تُعبر عن هذه الحقيقة إلَّا كما أخبر الله في كتابه وعلى لسان رسوله–صلى الله عليه وسلم–.

هناك ثلاثة شروط في مسألة التصديق اليقيني:

- **الأول**: أن التصديق اليقيني هذا سيكون في الأخبار الغيبية التي وردت في الكتاب والسنَّة.
- **الثاني**: أن تصديقه للخبر اليقيني لا يدخله شك أبدًا.
- **الثالث**: أنه يعبر عن هذا الخبر الغيبي كما ورد في الكتاب والسنَّة.

سيتبيّن هذا أكثر لو ضربنا مثالًا في مسألة خلق السماوات والأرض، الخبر في الكتاب والسنَّة لخلق السماوات والأرض، وكيف أنه خلقها–سبحانه وتعالى–في يومين كما في سورة فصلت، هذا الخبر المطلوب منك أن تتيقّن أنه حقيقة وأنه وقع، وألا تُعبر عنه إلا كما أتى في القرآن، وهذا أمر غاية في الأهمية لأن أول ما نبدأ في الأخبار الغيبية بالتعبيرات الإنسانية يحصل انفصال بينك وبين الإيمان، وبالمثال نتصور المسألة.

في السنوات الخمس السابقة خرجت لنا كلمة بدل خلق السماوات والأرض يتكلمون عن بدء الخليقة بما يسمونه بـ (الانفجار الكوني) ويقولون إن هذه نظرية! كيف بدأ الكون بالانفجار الكوني! ويتخرّصون؛ لأن ما في أحد عنده هذا العلم أبدًا، الله الذي خلق السماوات والأرض هو الذي يخبرك كيف خلقهم وكيف في يومين وكيف دحاها وكيف أعطاها، الله الذي يخبرك

بذلك. أي أحد آخر يتكلم عن مسألة خلق السماوات والأرض صفته أنه يتخرَّص، يتوقع، يأتي بمعلومات وينسجها كما يريد، عبروا عن ذلك بكلمة الانفجار الكوني. نحن لن ننازع أحد في الكلمة ولا نقول صحيح ولا خطأ، سنقول: نحن المؤمنين في غِنى، تكفينا هذه الكلمة، أن نأتي للحقيقة الغيبية التي نحن نعتقد أنها جزء من عقيدتنا ومن إيماننا بالقرآن ومن إيماننا أنها خبر من عند الله، نحن في غِنى أن نعبر عن هذه الحقيقة بهذا اللفظ. ومن ثم سنبقى في عقيدتنا معتقدين أن الله خلق السماوات والأرض على التفصيل الوارد في سورة النازعات وفي سورة فصلت وفي غيرها من سور القرآن بالإجمال وبالتفصيل، الخبر واضح عندنا.

إذًا هذا معناه أن المؤمن حقيقة إيمانه أن كل خبر غيبي ورد في القرآن يعرفه ويتيقن به ما يدخله الشك، ما يُعبِر تعبير آخر غير الموجود في كتاب الله. خلقك كإنسان ما فيه منازعة، الله–عزَّ وجلَّ–خلق آدم–عليه السلام–وأسجد له الملائكة، وأتت الذرية من بعده بعد إهباطهم إلى الأرض كما نعلم. يأتي أحد يقول لك: أصل الإنسان قرد! هذه نظرية فلان، لا نحتاج أن نتناقش فيها، لسنا بحاجة للنقاش ولا إثبات صحتها ولا إثبات بطلانها، نحن مؤمنين في غِنى عن أن نبحث عن هذه الحقائق. فالمؤمن أصلا ليس لديه علامة استفهام، مكتفٍ في المعارف الغيبية بالحقائق القرآنية فلا ندخل في التفاصيل، نثبت أو ننفي صحيح أو لا، لديهم اثباتات.. هذا لا يهمنا، الذي يهمنا أننا سنلقى ربنا نحاسب على اعتقاداتنا، والذي سنحاسب عليه هو موجود في كتاب الله. أما ما يطرحونه أيًا كانت أطروحاتهم وأيًا كانت أسماء أطروحاتهم فهذا شيء لا يعنينا ولن نُسأل عنه، إنما ستسأل عن ما سمعت في القرآن. فالمعنى أن المؤمن يسمع الأخبار سماعًا يقينًا يصدقها، ما يدخله شك يُعبر عنها كما وردت في القرآن.

حين نأتي إلى هذا الإيمان كيف يزيد؟ إيمانك يكون بالأخبار الغيبية من جهة أفعال الله، من جهة صفات الله، من جهة أحوال الأمم السابقة، من جهة ما سيكون في مستقبل الأمر، من جهة ما سيكون في الجنة وفي النار ويوم القيامة، كل هذا يعتبر من الأمور الغيبية التي تستلزم منا الإيمان.

ماذا يفعل المؤمن وهو يسمع القرآن؟ لا يعتمد على إيمانه الإجمالي، نتكلم على من يزداد إيمانًا وليس من آمن إيمانًا مجملًا. أنت تدخل على القرآن ومعك إيمان إجمالي، فالإيمان الإجمالي يقول: **هذا القرآن كلام الله، وكل خبر فيه صدق، وعليَّ أن أتيقن به ولا أشك**...هذا الإيمان الإجمالي. لكن كل آية تقرؤها في القرآن وفيها خبر غيبي ماذا تستلزم منك لكي تزداد إيمانًا؟ تستلزم أنك تقف أمامها وتتيقن بها، وتمررها على خاطرك، وتصبح هي لغتك التي تُعبّر بها.

مثال: السفينة هذه التي تجري في البحر كلما رآها الناس عامة الناس رأوها على أنها أداة من أدوات المواصلات شيء موجود عندنا ونتنقل به! في كل مرة تقرأ فيها كتاب الله–عزَّ وجلَّ–وتسمع منَّة الله علينا بهذه السفينة، سواء كانت ابتداءً بصناعتها في قصة نوح–عليه السلام–، أو كانت المنَّة مستقلة في التذكير بها في كتاب الله، تسمع عن هذه السفينة التي تحمل الخلق بطريقتين:

- في قصة نوح، وكيف أنه كان يصنعها ويمرون عليه ويستهزؤون إلى آخره.
- في كون أن الله–عزَّ وجلَّ–يمتنّ علينا في أنه حملنا في البر والبحر.

هذا نوع في ذكر السفن وهذا نوع في ذكر السفن، الآن ما هي عقيدتك في السفينة! هذه المحسوسة، عقيدتك خبر غيبي سابق، وهو أن الله علَّم نوح–عليه السلام–هذه الصناعة، وامتنّ بها عليه وانتقل هذا العلم للناس، والله–عزَّ وجلَّ–جعله باقيًا وهو الذي حمل الخلق فيها. ثم عندما تسمع سورة هود وكيف أنها كانت موج كالجبال، موج كالجبال ماذا تساوي فيه سفينة ذات ألواح ودسر ماذا تكون؟! لا شيء. لكن لأنّ الله حملهم فيها نجوا، فإذًا الذي يحملنا في البحر الله–عزَّ وجلَّ–هذه عقيدة تعتقدها رغم أن السفينة شيء محسوس لكن وراءه الأمر الغيبي.

إذًا معناها أننا سنقف كثيرًا أمام ما نقرؤه في كتاب الله، ونستعرض كل هذه الأخبار الغيبية نستعرضها كخبر ونستعرضها كاعتقاد.

أما أن تجري كلمات القرآن على اللسان والوجدان منها خاليًا! زيادة الإيمان معناها أن كلَّما استعرضت آيات القرآن زاد اليقين في القلب وذهب كل شك، وليس شرطًا أن يكون شك، بل ذهب كل شك إن كان هناك شك، وذهب كل جهل إن كان هناك جهل، وذهبت كل غفلة إن كانت هناك غفلة.

إذًا الإيمان يعتريه ثلاثة أمور:

1- إما أن تكون جاهلًا بحقيقة المسائل (لا تعرفها)، لا تعرف مثلًا الأنبياء لا تعرف أن عيسى-عليه السلام-أتى إلى بني إسرائيل، وانقسم بني إسرائيل عليه إلى قسمين: قسم كذَّبوه وقسم آمنوا به، ثم تقرأ في القرآن فيتبيَّن لك أن الله أرسل عيسى إلى بني إسرائيل. كيف تزداد إيمانًا؟ ينكشف الجهل وتتعلم.

2- أو تكون عالمًا بالمسألة لكن غفلت عنها، تعرف أن هذه السفينة إنما علَّمها الله نوح-عليه السلام-، لكنك غفلت وتعلمت أن هذه النظرية فلان وفلان، والسفينة تجري بنظرية كذا، غفلت عن الحق، غفلت أن السفينة جزء من اعتقادك، غفلت أن الماء الذي ينزل من السماء جزء من اعتقادك، غفلت أن الريح والهواء جزء من اعتقادك، غفلت عن هذا فتقرأ في القرآن كيف أن هذه الريح ليست ريحًا تمر والأحوال الجوية-كما نعبر عنها-إنما مخلوق خلقه الله ومأمور يأمره الله وقد يسلِّطه الله على بعض خلقه فيكون هو العذاب على بعض الأقوام. فتعتقد في الريح عقيدة أن الله مُرسلها، في مقابل أن الناس يرون الريح والهواء مجرد شيء يعيشونه!

إذًا الإنسان يكون جاهلًا فيقرأ القرآن وتأتيه أخبار غيبية عن أمور لم يعيشها، أو يعيشها ولا يفهم بُعْدها، أو أمور ستكون في المستقبل، أيًا كانت أنواع الأمور التي هي غيب ما حاله؟ إما جاهل يتعلم وإما غافل يتنبّه. وهذين النوعين جميعًا نشترك فيها.

3- الأمر الثالث: يزداد إيمانًا عندما يأتيه أمر كان قد شك فيه، أتاه من شياطين الإنس أو الجن وألقى عليه الشبهة، فيقرأ القرآن ويكرره ويفهم ويتدبر حتى تزول عنه الشبهة، فيكون بذلك قد ازداد إيمانًا.

كان هذا أول الأمر في مسألة زيادة الإيمان، يأتينا شيء مهم الآن:

ما أنواع الأخبار الغيبية التي تأتي في القرآن؟ أي: وأنا أقرأ في القرآن، ماذا أقرأ لكي أعتقد أنه خبر غيبيّ؟ سيأتينا تفصيل طويل في ذلك، نتكلَّم أولًا عن الأشياء المجملة لأن فَهْمنا لأنواع الغيب هو الذي يحصل معه الاستبشار، نستبشر بالقرآن عندما نكون جاهلين ونتعلم، نستبشر بالقرآن عندما نكون غافلين ونتيقظ، نستبشر بالقرآن عندما تكون عندنا شُبهة أو شك وتزول، في أي شيء؟ هذا هو الذي سندور فيه ونفصِّله.

سيكون حظنا في الاستبشار متصل بأنواع الغيب الذي يمكن أن يكون في هذا القرآن العظيم الذي يستلزم منَّا العناية به، سنرى أولا الأشياء الإجمالية.

ما هي أنواع الأخبار الغيبية التي تأتي في القرآن ويحصل وراءها الاستبشار:

أول أنواع الغيب: ما سبق في علم الله، مثل خلق آدم-عليه السلام، بمعنى أن يكون الإنسان جاهلًا كيف كان بِدء الخليقة وهذا حصل في سابق علم الله، كيف خُلِقت الأرض هذا في سابق علم الله.

هذا النوع الأول، وهذا النوع أنت ترى الناس كم هم متشوقين لمعرفته، وترى الناس كم يبحثون ويبذلون من أجل أن يأتوا بأخبار عنه، وترى الناس يخترعون ويكذبون في هذا النوع! ما أصل الإنسان، ما بدايته؟ ما هي بداية الأرض؟ كل هذه أمور لأن عندك علم بها، تظن أنها ليست مهمة لكن الحقيقة أن معرفتنا لها واكتفاءنا بها أشعرنا أنه شيء غير مهم، بمعنى لو كنت لا تعرف هذا الشيء أبدًا ولا تدري عنه؛ كان سيكوِّن عندك علامة استفهام وكنت ستبحث: نحن من أين أتينا؟ ما أصلنا؟ ما حالتنا؟

نحن مِن أن عقلنا وقرأنا القرآن وجدنا أول قصة، قصة آدم-عليه السلام-، فالأمر عندنا مستقر، وهذه دائمًا حالة الناس عندما يُعطَون المنَّة من غير سؤال، بدلًا من أن يشعروا بالمنَّة يكون الإحساس بالبطر! لكن سيشعر بهذه الحقائق الذي كان كافرًا وبعيدًا ولا يعرف الحقائق ثم يدخل إلى الإسلام، فيجد إجابات على أسئلة كثيرة كانت تدور في خُلده، نحن لا تدور في خُلدنا؛ لأننا قد أُخبرنا عنها وموجودة عندنا فلا يحصل عندنا أي حالة من البحث، ونحن مكفول لنا في القرآن العلم بالثلاثة الأمور الإجمالية التي نتكلم عنها:

1. من أين أتينا؟
2. إلى أين نذهب؟
3. وماذا يجب علينا أن نعمل؟

هذه الثلاثة الأمور مكفولة واضحة تمامًا، وهذه الأمور تحير الخلق: من أين أتوا؟ أين يذهبون بعدما يموتون؟ ماذا يجب عليهم أن يفعلوا خلال هذه المدة؟

هذه الثلاثة الأمور هي التي تُحير الناس وتُربِك تفكيرهم، لكن مكفول لك يا أيها المؤمن في القرآن أنت من أين أتيت، حتى أنكم تسمعون في ترتيب القرآن كما هو متبيّن بالإضافة أن قصة آدم أول قصة في ترتيب المصحف، تسمعين في أواخر المصحف كيف ينقسمون الناس إلى الجنة والنار؟ وما مصيرهم؟ وكيف تكون أحوال الأرض؟ كيف تقوم القيامة؟ وكيف يكون حال الجبال؟ هذا الوصف التفصيلي يقول لك هكذا ستنتهي الدنيا، وما بين هذا وذاك ماذا يجب عليك أن تفعل؟

فالمقصد أن الأمور الغيبية التي سكنت نفوسنا بمعرفتها هي ما كان في علم الله في الأمور السابقة، يعني سواء كان خلق آدم-عليه السلام-أو خلق السماوات والأرض أو خلق الملائكة، هذا كله من الأمور التي تتصل بالغيب السابق في علم الله.

من أعظم الأمور الغيبية التي يحصل وراءها الاستبشار: من هو الله الذي نعبده؟

فكل مرة تسمع عن أسمائه وصفاته وأفعاله يأتي وراء ذلك الاستبشار، نفسك ساكنة هادئة تعرف من هو الله، لكن فكروا... لو لم نعرف عن الله أنه **الرزاق**، كيف كانت ستكون نفوسنا؟! ستكون تائهة ونحن نعرف اليوم أنه الرزاق ومع ذلك يحصل لنا تيه؛

السبب: الغفلة عن هذه الحقيقة، السبب أننا لم نتنبَّه لها أو لا تصل إلى أعماقنا، أي أننا نعرف؛ لكن لعدم وجود اليقين بها؛ رأينا كيف يتقاتل الناس على الرزق!

لو لم نعرف أن الله **توَّاب**-ونحن نعرف عن أنفسنا أننا خطائين-ماذا سيكون حالنا! فمن البشرى أن تعرف مَن الله؛ فتستبشر بكل معرفة تعرفها.

والمسلمون في هذه الحال وما نراه من مظاهر الذلّ التي انتشرت عليهم لو لم نعرف أن الله **عزيز ويعزّ أهل الإسلام** لهلك الناس، لو لم نعرف أن الله-عزَّ وجلَّ-**يكشف الغمة ويجمع الأمة** لوقع في نفوس الناس شيء كثير من الفتنة.

فإذًا من الأمور المهمة جدًا التي تتصل بالغيب ويكون وراءها الاستبشار:

- **الأمر الأول**: عرفنا العلوم التي سبقت في علم الله كخلق آدم وخلق السماوات والأرض.
- **الأمر الثاني** من الأمور الغيبية التي نجد أخبارها في الكتاب والسنة: من هو الله.
- **الأمر الثالث**: كيف يعامل الله خلقه وهذه من الأمور الغيبية التي تؤثر جدًا في تفكير الانسان.

انظر للناس اليوم-من غير أهل الإسلام-وهم ينظرون مثلًا للأهرامات التي هي من صنع الفراعنة كما هو معروف، تجد عنده من الحيرة والتفكير وكيف صُنعت وإلى آخر ما تسمعون، وكل يوم حفريات وكل يوم آراء وكل يوم نظريات. نحن بالنسبة لنا هذا الخبر شأنه تام الوضوح، لماذا الأهرامات ومدائن صالح وغيرها محفوظة؟

واضح لنا الجواب: الله-عزَّ وجلَّ-يحفظها لترى آثار العظماء، فإذا رأيت آثار العظماء تسأل: أين هم هؤلاء العظماء! مَن طواهم! فيكون الجواب: أن العظيم هو الذي طواهم، لأجل أي شيء؟ لأنهم فعلوا وفعلوا وفعلوا. فالآثار التي يراها الناس عندنا تكون مفهومة، واضحة، تدلنا بوضوح على رب العالمين.

فالمقصد أن من الأمور الغيبية: كيف يعامل الله-عزَّ وجلَّ-خلقه؟ وهذا نستبشر به، عندما نسمع عما حصل في قوم لوط وكيف أنهم لما وصلوا إلى الحال العظيمة في الإسراف في جريمتهم، وتعرف كيف أنهم لما بلغوا حد الاسراف فيها، وجاهروا وتكلموا بها، ورأوا أن التطهر منها ذنب والإعلان عنها أمر عادي، جاءهم عذاب الله.

فهذه السنَّة لا تتخلَّف أبدًا، أي قوم يستسيغون هذا المنكر العظيم ويفشوا فيهم ويعيشونه، فقد ابتدؤوا بنهايتهم. لكن القوم متعجلين والحقيقة أن هذه السنَّة لا تتخلَّف أبدًا فيحصل الاستبشار أن دين الله وما يرضي الله لا بد أن يعلو مهما حصل خلاف ذلك. فتعرف سنن الله-عزَّ وجلَّ-وتعرف كيف يعامل الله الخلق فتسلك المسلك الذي يُرضي الله-عزَّ وجلَّ-لتكون من أهل السلامة والقبول.

- **الأمر الرابع** من الأمور الغيبة التي تأتي في كتاب الله: مصير الناس يوم القيامة ابتداء من موتهم إلى يوم القيامة.

يتأمّل الإنسان الأخبار الواردة في القرآن من لحظة موته إلى أن يلقى ربه، إلى أن يتفرقوا فريق في الجنة وفريق في السعير، أنت من كان وليُّك في الدنيا! إن كنت من أولياء الله وكانت الملائكة هي التي تحيط بك، إن كنت ممن كانت الملائكة أولياؤهم في الحياة الدنيا سيبشرونك لحظة الموت، لحظة ما تُقبض، ولحظة ما تُبعث، ويدخلون الأبواب على أهل الجنة يسلمون عليهم ويهنؤونهم.

هذا مسلك لا يمكن أن يأتيك إلا عن طريق الغيب، هؤلاء عالَم غيبي، المعرفة بهم لا يمكن أن تأتي إلا بكتاب الله، فكل مرة تسمع في القرآن أخبارهم ويزداد إيمانك بهم، وكل مرة تزيد معرفة بهم لا بد أن يقع في القلب الاستبشار بهذه الأخبار: **أن كن**

مطمئنًا، الملائكة الذين هم أولياؤك في الحياة الدنيا حين تُقبض ستقول لك: لا خوف عليك مما ستستقبل ولا تحزن على ما تركت؛ فيأتيك ما يطمئنك، ثم حين تخرج من قبرك في ذاك الفزع أيضا تطمئنك، وأيضًا حين تدخل إلى جنات النعيم تبشرك وتستقبلك وتدخل عليك تسلم عليك وتهنئك، وهي هنا في الدنيا تستغفر لك بل حملة العرش يستغفرون لك!

فهذه الأخبار فيها البشرى تستبشر بها وتراها خيرًا عظيمًا، **إذا كان أهل الكفر يتحزبون فأهل الإيمان لهم حزب في السماء**، وهذا كله مما يجعل الإنسان في طمأنينة عندما يذكر الله، يكون تام الطمأنينة؛ لأنه يعرف عن الله هذا كله. ويعرف كيف أن الله أيّد أهل الايمان بهؤلاء، وكيف يعاملهم، كيف يلطف بهم، كيف يرؤف بهم...فهذه الأخبار الغيبية كلها تأتي بالبشرى للمؤمن، ولا يشعر أبدًا بما يشعر به الناس من الإحباط، وأن الدنيا إلى زوال وإلى نهاية...لا، حين تسمع في الأخبار أن الله سميع بصير، الله عليم بأحوال الصادقين، يملك هذه الدنيا، سلام مؤمن مهيمن، تسمع هذه الأخبار كلها فماذا يقع في القلب؟ تطمئن.

ترى أهل الباطل وصلوا ذروتهم، تأتي قصة موسى في سورة القصص كيف أن {فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ}(1)كل هذه الأفعال ثم يُصرّ على قتلهم فيُربّي موسى في بيته، بأمر الله–عزّ وجلّ–أمه أن تلقيه في اليّم فيحفظه، تقصّه أخته فيُحرَّم عليه المراضع ليعود لأمه، كل هذه التدابير العجيبة أنت مؤمن أنها حصلت، ترى مثلها في الحياة، تعيشها أنت بنفسك كشخص وتعيشها الأمة ، ترى تدبيرًا لأمور، لا تعرف من أين أتت إلا من لطف الله، هذا كله يأتي بالبشرى ويدفع عن الإنسان الإحباط.

هنا يأتينا الشيء المهم، هذا الإحباط وعدم الاستبشار يحرص عليه شياطين الإنس والجنّ، يحرصون أن يوصلوا المؤمنين إلى اهتزاز ثقتهم برب العالمين. وهذا معناه أن أهل الباطل لهم من الخطط أن يوصلوا الناس إلى إساءة الظن بربهم، مثل ما فعل إبليس مع آدم–عليه السلام–، أي أن أول خطيئة ارتكبت من آدم في الخبر الغيبي، ماذا فعل إبليس بآدم؟ وسوس له، أخبره أنه سيدلّه على شجرة يصل من ورائها أن يكون مَلَك أو يكون من الخالدين. هذا الخبر أو هذا العمل من إبليس إنما في طيّه إساءة ظن آدم بالله–عزَّ وجلّ–كأنه يقول: ربنا لا يريد لك أن تكون ملكًا أو تكون من الخالدين، لكن تعال أنا أدلّك على طريق تصبح فيك هذه الصفات. ففي داخل كلامه إساءة الظنّ بالله، وهذا سيتبين لنا ونحن نتدارس سورة فصلت: {وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ فَأَصْبَحْتُم مِّنَ الْخَاسِرِينَ}(2)

فهل نكون في حالة يأس من روح الله والفجر قريب جدًا؟! لا، بل نرى أن هذا آخر الليل ونستعد للفجر ونقوي عزائمنا لنصل إلى الفجر ونحن متيقنين به. فإذا مدّ الله في الحياة عشنا إلى الفجر الحمد لله، وإذا ما مدّ في الحياة وعشنا إلى الفجر وهذه الأعمار بيد الله نُقبل على الله بعقيدة من هو مُتيقن أن بعد الليل فجر، فإذا ما عشناه حسنت ظنوننا في الله، فنُقبل على الله وأجورنا مجتمعة على ذلك.

لا بد أن نتكلَّم اليوم عن البشرى في القرآن، أن الله نصر موسى–عليه السلام–على فرعون رغم أنه بلغ حدّه في الطغيان {عَلَا فِي الْأَرْضِ}(3)، أن الله خسف بقارون وعنده ما عنده ثم في النهاية لم يجد ناصرين، ما انتصر هو ولا له فئة تنصره، ماله

(1) [سورة القصص: 4]
(2) [سورة فصلت: 23]
(3) [سورة القصص: 4]

وقدرته لا شيء. من يعرف هذه الأخبار ويتيقن بها ولا يجعلها مجرد أخبار وقصص يسمعها، فالذي يفهم هذا جيدًا ويتيقن به يُقبل على ربه محسنًا الظنّ به.

نعيد على أنفسنا إذا ما مُدّ لنا في العمر حتى رأينا الفجر فإننا يكفينا أن نُقبل على ربنا ونحن محسنين الظن به، متيقنين أنه لا يمكن أن يبقى الباطل منتصرًا والحق مهزومًا إنما هي دول، والحق يبقى حقًّا منتصرًا حتى لو لم يظهر آثاره. ومن ذلك الحمد لله بفضل الله الناس متمسكين بدينهم رغم ما يجدون حولهم من إيذاء في هذا الدين، الوضع عام للعالم الاسلامي، تجد الناس رغم ما هم فيه من أحوال لكنهم الحمد لله متمسكين بدينهم، فهذا الدين لا يمكن أن يذهب وإن فجره لقريب، وإن شاء الله نكون ممن يعيش حتى يرى فجره. وإذا ما كنا ممن عاش سنربي أبناءنا على أن يستعدوا للفجر، وعلى أن يستقبلوه، وعلى أن يكونوا أهله، ويكونوا ناصري هذا الدين ليسوا من الخاذلين له، نسأل الله-عزَّ وجلَّ-أن يعيذنا من أن نكون ممن خذل الدين. والله-عزَّ وجلَّ- ناصر دينه بنا أو بغيرنا لكن الشرف لنا أن نكون في ركب من نصر هذا الدين، أسأل الله-عزَّ وجلَّ-أن ننصره في أنفسنا وفي تربيتنا لأبنائنا وفيما نكتبه ونقوله للخلق. فإن اليوم أصبح الكذاب الأشر يكتب كلمة تطير في الآفاق وتهدم في قلوب الناس الآمال، فنحن نرجو من الله أن لا نكتب ولا نتكلم إلا بما يزيد هذه الأمة رفعة ويزيد هذا الدين وضوحًا وبيانًا، ونلقاه ونحن قد أحسنّا إلى أنفسنا بالإيمان وأحسنّا إلى الخلق بنشر هذا الإيمان واليقين، وأن نكون ممن ثبت على الدين، خاصة ونحن نخرج من هذا الشهر المبارك والشيطان يتلقفنا ويقلل عزائمنا ويُذهب بروح قلوبنا ويجعلنا مع القرآن متكاسلين ومع الصلاة مهملين، يفعل بنا أفعالًا يتخبطنا، فنرجو من الله أن يثبتنا على الدين ويُذهب عنا ما يوقعه الشيطان علينا من مكائده، اللهم آمين.

إذًا حال المؤمنين أنهم يزدادون إيمانًا في كل مرة يسمعون الآيات، ويستبشرون...يقابلهم المنافقين.

صفات المنافقين

هذا الجزء الثاني من كلامنا لا بد أن نتطرَّق إليه، على الرغم من أنه ليس موضوعنا بل موضوعنا عن المؤمنين الذين يزدادون إيمانًا ويستبشرون، وما نريد أن نؤذي آذاننا بالكلام عن المنافقين، لكن لا بد أن نمر سريعًا على حال المنافقين وأوضاعهم مع القرآن؛ من أجل أن نبتعد عن أوصافهم ونستعيذ بالله-عزَّ وجلَّ-منها ونحرص على أن لا نكون من أهلها.

حال المنافقين مع آي القرآن: لاحظوا أن هذه الآية التي نناقشها في سورة التوبة-وسورة التوبة كما تعرفون يسمِّيها بعض السلف بـ"الفاضحة"-تفضح المنافقين وأحوالهم وهذه الآية أتت في آخر السورة بيانًا لأحوال هؤلاء الخلق:

فهم ينقسمون إلى قسمين:

1. مؤمنين يسمعون القرآن ويكون هذا حالهم.
2. منافقين عكس حالهم.

كما أخبر-سبحانه وتعالى-أن الذين آمنوا حين يسمعون آي القرآن يزدادون إيمانًا وهم يستبشرون.

أمَّا الذي كفروا يزدادون:

1. رجسًا إلى رجسهم.
2. يموتون وهم كافرون.

قال تعالى: {وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَى رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا وَهُمْ كَافِرُونَ}[1]

نقارن بين حال المؤمنين وحال المنافقين حال سماعهم للآيات:

المؤمنون يزدادون إيمانًا المنافقون يزدادون رجسًا

المؤمنون يستبشرون المنافقون يموتون وهم كافرون.

أما مقابلة زيادة الإيمان بزيادة الرجس فهذا واضح أنه تناقض، أي أن هؤلاء يزدادون إيمانًا وهؤلاء يزدادون شكًّا، لكن حين نأتي للشيء العجيب ما معنى أن هؤلاء يموتون وهم كافرون في مقابل أن هؤلاء يستبشرون! هنا نجد شيء عجيب أن الاستبشار حين يدخل للمؤمن كأنه بشرى لحسن الخاتمة، لماذا؟ لأنه مقابل أن (المؤمنين يستبشرون) (المنافقين يموتون وهم كافرون) فالاستبشار كأنه إشارة إلى هذه الحالة أنه يفرح بالقرآن ويبتهج به، وكل خبر غيبي يسمعه يزداد به فرحًا، وكلَّما تعلَّم يشعر بمشاعر عظيمة في داخل نفسه من الفرح، كما قال-سبحانه وتعالى-في سورة يونس: {قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ}[2]

وكان لعمر -رضي الله عنه- في هذه الآية موقف مع غلامه أتته إبل عظيمة من فتوحات في زمنه -رضي الله عنه-فُتحت أبواب عظيمة على المسلمين وجاء خير كثير فرأى هذا المولى لعمر-رضي الله عنه- إبل كثير مقبلة فقال المولى لعمر: {قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا} قال عمر: "كذبت، ليس هذا فضل الله ورحمته، إنما القرآن فضل الله ورحمته، الإسلام فضل الله ورحمته، وهذا مما يجمعون"[3]. قال عن هذه الابل المقبلة أنها مما يجمعون، إذًا القرآن فضل الله ورحمته، الإسلام، الإيمان هو فضل الله ورحمته يجب أن نستبشر به وهذا الاستبشار يؤدي إلى عكس حال المنافقين، وهذا معناه أنه لو حصلت زيادة الايمان وحصل الاستبشار، إذًا من أعظم البشرى التي تقع للمؤمن أنه يُبَشر لحظة موته لحسن هذه الخاتمة التي سببها الاستبشار بالقرآن.

ولذا لا بد أن نفهم أن هذا الموضوع ليس بالهيّن ولا باليسير، أن نعبد الله بالاستبشار بما في الأخبار القرآنية من بشرى، هذه عبادة يجب أن نُمتِّع أنفسنا بها، يجب أن نفهمها ونقوم بها ونُعلمها أبناءنا، لا بد أن يأتي هذا العلم كالغيث الذي ينزل على الأرض فيفرح بها أهلها. أي حين ترى أهل الزرع والضرع كيف يستبشرون بالمطر حين يأتي؛ لأن زرعهم وضرعهم سيُنتج، سيخرج من الأرض نبات، ستأكل هذه المواشي، سيجري في ضروعها اللبن فيفرحون، أعظم من هذا الفرح فرح الذين آمنوا أرضهم يابسة تنزل عليها الأخبار الغيبية فيفرحون بها، أي يزدادون إيمانًا بها وهم يستبشرون بها. يستبشرون كلمة واسعة إن شاء الله تكون موضوع نقاشنا المرة القادمة.

الآن فهمنا شيء مهم جدًا وهو أن هذا الاستبشار عكس طريق المنافقين، المنافقون ماتوا وهم كافرون، هنا يرجى لأهل الايمان أن يموتوا وهم مؤمنين، أي يثبتون على دينهم. فالبشرى هذا جزاءها ونحن نرجو من الله أن يكون من معاني هذه البشرى أن يبشر الإنسان وقت موته بحسن الخاتمة، وبالملائكة التي ترفع روحه إلى السماء.

---

(1) [سورة التوبة: 125]

(2) [سورة يونس: 58]

(3) لَمَّا قَدِمَ خَرَاجُ الْعِرَاقِ إِلَى عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ خَرَجَ عُمَرُ وَمَوْلًى لَهُ، فَجَعَلَ عُمَرُ يَعُدُّ الْإِبِلَ، فَإِذَا هِيَ أَكْثَرُ مِنْ ذَلِكَ، وَجَعَلَ عُمَرُ يَقُولُ: «الْحَمْدُ لِلَّهِ» وَجَعَلَ مَوْلَاهُ يَقُولُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، هَذَا وَاللهِ مِنْ فَضْلِ اللهِ وَرَحْمَتِهِ، فَقَالَ عُمَرُ: «كَذَبْتَ، لَيْسَ هُوَ هَذَا، يَقُولُ اللهُ تَعَالَى»: {قُلْ بِفَضْلِ اللهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا} يَقُولُ: «بِالْهُدَى وَالسُّنَّةِ وَالْقُرْآنِ، فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا، هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ، وَهَذَا مِمَّا يَجْمَعُونَ». حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، لأبي نعيم.

بضدها تتبيّن الأشياء، فعندما تجد في القرآن أن الله يصف لك أهل الإيمان ويصف لك أهل النفاق، فكأنه يقول لنا: مما يزيد بيان حال أهل الإيمان أن تنظر لحال أهل النفاق، فنحتاج أن نجمع من أول القرآن ما ورد عن المنافقين إلى أن نصل آخر القرآن في (المجادلة، المنافقون، الحديد)، لكن نختصر الآن حالهم مع القرآن.

حال المنافقين مع القرآن: واضح في هذه الآية أنه كلما أتى خبر من الأخبار الغيبية ألقوا في الخبر ما يشككهم، فيزيدهم الخبر رجس، تتدنس نفوسهم. فأهل الايمان تتطهر نفوسهم، أهل الإيمان كلَّما سمعوا الآيات يتزكون، كما أخبر الله–عزَّ وجلَّ–في سورة البقرة لما دعا إبراهيم–عليه السلام–برسول يبعثه الله–عزَّ وجلَّ–من هؤلاء ماذا يفعل لهم؟ قال: {يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ}(1) إذًا آيات القرآن تزكي أهل الإيمان، آيات القرآن تزيد أهل النفاق رجس ودنس.

يأتي إشكال: كيف يكون القرآن–كلام الله العظيم–رجس على بعض الناس وعمى على بعضهم؟ هل نفس آيات القرآن تفعل لهم هذا الفعل؟

القرآن ما فيه إلا الخير، لكن يأتي على بعض الخلق فيكون القرآن عليه عَمَى؛ لأن النفوس تكون غير صالحة بنفسها، فينزل عليها الخير فيصبح لها شرًا بسبب نفوسهم.

أسأل الله أن يعيذنا جميعًا منها وذرارينا، نضع بعض الصفات التي تجعل هذا الكتاب العظيم في حق هؤلاء الخلق رجسًا...

من صفات المنافقين التي تجعل القرآن عليهم رجس:

1– تحكيم العقل وتعظيمه اتباعًا للهوى، (تحكيم العقل وتعظيمه) ليس بجعل العقل أداة تستقبل الحق بل بجعل العقل أداة تُحْكم بالهوى، هنا أدخلنا مفهومين معًا. مشكلة هؤلاء–الذين يزيدهم القرآن رجسًا–أنهم لم يأتوا على القرآن مُسَلِّمين بل كأنه شخص أتى يحكم على القرآن، يقيس الصواب من الخطأ!

عقلك الذي خُلِقَ لك يعتبر أداة شريفة، تستعملها لاستقبال القرآن وليس للحكم على القرآن. وهذا فرق عظيم بين أن تكون هذه الأداة التي رُزقتها تستقبل وتفهم وتضع المقاييس وبين أن يكون هذا العقل حاكمًا على القرآن؛ لذلك ترى الناس يأتون ينازعوك، يقولون: "هذا الدين يمنع عقولنا من النمو والوجود!"، وهذا باطل؛ هذا الدين يُعَلِّم العقل كيف يسير على الصراط المستقيم.

سنعتبر العقل مثل السمع ومثل البصر، لو لم يوجد ضوء في المكان هل يفيدك البصر؟ لا، فهذه الأداة لا بد من أن يكون لها أجواء، جوُّها أن يكون هناك ضوء حتى تستطيع أن ترى. ولو كنت في مكان لا هواء فيه، هل تستطيع أن تسمع؟ لا، الأداة موجودة لكن ينقصنك الوسيط الذي ينقل الصوت.

عقلك كيف سيميز الحق من الخطأ؟ يأتي القرآن فيقول لك: هذا حق وهذا باطل. بعقلك الذي استقام كما بعينك التي رأت توزن الأمور، العقل أداة يحتاج إلى مقياس لكي يَزِن الخير والشر فيها. هذا المقياس هو **القرآن** يوافق الفطرة السليمة فأتت الأداة متفقة تمامًا، بمعنى أن كل أصحاب الفطر السليمة لا يمكن أن ينازعوا أبدًا في أي حقيقة غيبية أو في أي أمر شرعي أو في أي

(1) [سورة البقرة: 129]

عقيدة، لا يمكن أن ينازع اثنين أن هذه الأفعال العظيمة ليس لها فاعل، كل صاحب فطرة يعرف أن الفعل لا بد له من فاعل.

مثلًا في الأوامر والنواهي الموجودة في القرآن هل يمكن أن يختلف اثنان على أن بر الوالدين خير؟! أبدًا. هل يمكن أن يختلفا على أن شرب الخمر وزوال العقل شر؟! بدون الهوى لا أحد يختلف. كذلك كل الأوامر الشرعية قِسْها بهذا المقياس، ولا تقِسها بمقياس الهوى.

معنى ذلك أن العقل كأداة تزن الأمور ماذا يحتاج؟ يحتاج إلى فطرة سوية يعيش عليها الإنسان، وتفاصيل هذه الفطرة أتت في القرآن. هذه التفاصيل ماذا تفعل لهذا العقل؟ تكون له بمثابة الميزان، إذًا قيل له عندك كفتين للميزان وهذه الثقالة التي تزِن بها، كل المفاهيم الشرعية ضعها وزِن بها.

أهل الإيمان يؤمنون بهذا، أما أهل النفاق تحكمهم الأهواء، فكل شيء خلاف هواهم يرفضونه، يأتون إلى الأوامر الشرعية التي هي خلاف هواهم ويرونها باطلة.

هذه الصفة الأولى الخطيرة جدًا وهي جعل كتاب الله مسرحًا لعقولهم، يحكمون فيه كما يشاؤون فالعقل حَكَمَه الهوى؛ لأن كل أحد فينا إذا استرد فطرته السوية ولم يكن هناك تشويش على فطرته السوية؛ فلن يجد غير هذا الحق.

المشكلة أن الذي لا يعلم النفس الإنسانية ولم يمارس المعاملة معها، لم يستطع أن يتكلم عن الأحكام أبدًا، أكيد كثير منكم كان في الحرم المكي أو المدني ورأى النساء وكثير من أعمالهم التي في كثير من المواقف تشعر أن هؤلاء لا يصلح لهم إلا أن يجلسوا في بيوتهم جزاهم الله خيرًا! أنت عندما تكون بعيد عن الصورة تمامًا ولم يحصل لك أي احتكاك حُكمك سيكون مختلف، لكن عندما تدخل وتجدهم يضاربون على كذا وكذا وبعدما يضاربون ينامون ولا يصلّون! يأتيك إحساس أن هناك فرق كبير بين معايشة المواقف والحكم عليها وبين أن أكون خارج الدائرة وأنظر لها من بعيد! البعض نراهم في التلفاز عندما يؤذَّن للصلاة وهم مصرّون أن يبقوا في الطواف، ويُقال لهم: "اخرجوا ستُقام الصلاة" وفي نهاية الموقف تصلي المرأة وسط الرجال! هذه المواقف يوضح لنا أننا عندما نكون داخل المواقف غير عندما نكون خارجها من حيث اتخاذ القرار السليم.

مثال آخر: حين يسمع شخص عن قطع يد السارق أو رجم أو جلد الزاني، فيقول: هذه وحشيَّة! شأن أنت لا تعرفه ولا عشته ما تستطيع أن تحكم عليه أبدًا. نفسية هذا السارق الله أعلم بها وأعلم أن قطع اليد يصلح له، وأعلم أن الذي يصلح لهذا الزاني أن يُجلد وأعلم أنه يُبعَد. المؤمن يتأمل قوله: {أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ}(1) مُسَلِّم لرب العالمين؛ بعدما عرف الله وآمن به سَلَّمَ لدين الله.

وهذا الذي يجب أن نتفق عليه دائمًا؛ أننا عندما نُعَلِّم الدين، نُعَلِّم الاعتقاد فيحصل الاستسلام للعمل. أما أهل النفاق فيأتون بعقولهم وهي قليلة الخبرة مهما جربوا ومهما فعلوا ومهما حصل أن يكون الإنسان مثقف ومتعلم ومجرب لا بد أن تكون هناك زاوية يكون فيها قليل الخبرة، يأتون بعقولهم البشرية المحدودة التي لا تعرف إلَّا زمان معين أو أوضاع معينة ويريدون بعقولهم أن يَحكُموا على كلام الله وأحكامه فماذا يحصل؟! تزيدهم الأحكام والأوامر والأخبار رجسًا!

السبب أنهم حَكَّمُوا عقولهم التي يحَكُمها الهوى. والهوى: ما يميلون إليه. وأنتم عندما تقرؤون في القرآن أحوال بني إسرائيل وموقفهم من التوراة وكيف أنهم كانوا يتلاعبون على حسب هواهم تفهمون أحوال الناس، الناس يفكرون بعقول الهوى والمصلحة.

---

(1) [سورة الملك: 14]

والقرآن في الحقيقة يرد هذه العقول إلى الحق، ولو كان الناس يحكمون بهواهم لفسدت السماوات والأرض.

أول سبب يجعل القرآن يزيد هؤلاء رجس؛ هو العقل الذي حَكَمَه الهوى. فهل هذا يعني أن العقل عندنا مرفوض؟

العقل عندنا أهم أداة للسير والوصول إلى الله، وبها يصبح الإنسان مكلَّف-أن يكون عاقل بالغ-ولو فقد العقل أصبح غير مكلَّف. إذًا العقل له مكانته العظيمة عندنا، لكن مكانة العقل مبنية على أنه يفهم كلام الله ويتعلم كلام الله ويتأمل في كلام الله ويجعل دين الله هو المقياس، ثم يسير وراءه وليس هو الذي يتقدَّم دين الله ولا يتقدَّم كلام الله.

2- الصفة الثانية من صفات المنافقين: تعظيم ذواتهم والسير في طريق نُصرَة أنفسهم وهواهم الذي هو (الكبر والعلو)، وهي أهم صفة من صفات المنافقين، عندما يأتيهم الحكم من رب العالمين ما يستطيعون أن يكونوا أذلاء له، لا يستطيعون أن يطأطئوا رؤوسهم له، إنما لا بد لهم من رأي واعتراض ومناقشة.

هؤلاء قد شابهوا بحال إبليس، فإن إبليس كل نكبته سببها الكبر {قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ}[1] أُمر بالسجود فرفض أن يسجد، ما يقبل الائتمار بالأمر بسبب الكبر، وهذا الكبر كان في إبليس وفرعون وقارون وكان في كل الأقوام التي ردَّت أوامر الله-عزَّ وجلَّ- وأوامر الرسل. إذًا ستكون صفة الكبر من أخطر الصفات التي تقرب الإنسان إلى النفاق، والكبر كما مر علينا كثيرًا وظاهرته التي نعرفها هو أوسع مما نظن، نحن نظن أن الكبر هو أن يرى الإنسان نفسه أنه أحسن من غيره من الخلق، وهذا صحيح. لكن هناك ما هو أعظم من ذلك، وهو ردّ الحق؛ لأنه يشعر أنه أفهم من غيره لدرجة أنه يصل إلى رب العالمين! وكما وصف النبي-صلى الله عليه وسلم-: ((الكِبرُ بَطرُ الحقِّ وغمطُ النَّاسِ))[2]، يرى الناس لا شيء وأعظم من ذلك أنه يرد الحق لأنه ليس مصدر الحق، ليس الذي تكلم بهذا الحق، لأنه ليس صاحب هذه الدعوة فإذًا الدعوة باطلة! إذًا يزيدهم رجسًا إلى رجسهم بسبب الكبر.

كلنا يجب علينا أن نراجع أنفسنا في هاتين النقطتين خاصة:

الأولى: عقولنا، هل نحن نجعلها تتغذى بالقرآن، ويحكمها القرآن، وقاعدتها القرآن، ومفاهيمها منتزعة ومأخوذة من القرآن، أو بعقولنا وتفكيرنا وميراثنا نحكم على القرآن.

الثاني: كم نحن نمارس الكبر! كم مرة جاء الحق ولأنه يخالف أهواءنا لم نرضَ به! كم مرة نريد أن نفعل أفعالًا هوائية مخالفة لما هو موجود في الحكم الشرعي، فعندما يخبرنا أحد عن الحكم الشرعي نرفضه ليس لأن معنا دليل لكن لأنه يخالف هوانا. هذا الكبر على الحق وهذه الصفات تجعل الإنسان حين يسمع الحق ويسمع القرآن ولا يزيده إيمانًا، بل تزيده رجس إلى رجسه ودنس إلى دنسه فلا يكون سببًا إلى تطهير.

نكتفي بهذين السببين حتى لا يطول الكلام عن أهل النفاق، غدًا إن شاء الله الكلام عن الاستبشار بالتفصيل.

انتهى اللقاء الأول بفضل الله.

(1) [سورة الأعراف: 12]

(2) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، بَابُ تَحْرِيمِ الْكِبْرِ وَبَيَانِهِ، 147.

اللقاء الثاني

اللقاء الثاني ألقي يوم الإثنين 13/ 10/ 1437هـ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

موضوع الاستبشار بالقرآن من أنسب المواضيع في هذا الوقت وهو وقت خروجنا من شهر رمضان المبارك، وقد سمعنا هذا القرآن العظيم ووقع في قلوبنا وحصل من حالة الطهارة والنزاهة عن الذنوب ما حصل في ذلك الشهر. ومن أعظم آثار شهر الصوم أن يعيش الإنسان شهرًا كاملًا وهو باذل الجهد أن ينزّه نفسه عن الآثام والأخطاء والتقصير، ويرى الناس حوله أيضًا مجتهدين في هذا التنزيه، فإن النفس الإنسانية حين تكون محافظة على فطرتها وقد غذيت بالإيمان، فتصبح النزاهة والطهارة أمران يحبهما الإنسان ويشرحان صدره.

ولتصور هذه المسألة تصور موقفين وانظر كيف أن النفس تقبل هذا وترفض هذا:

الموقف الأول: عينك ترى في الفجر والرجال يسيرون إلى المسجد تعرف أن خطاهم تخطو إلى الخير، وأنت ليست لك مصلحة في هذا الخير ولكنك تحب خُطى الناس إلى الخير.

موقف آخر: ترى أحدًا عائدًا من مكان فيه سُكر وخمر-أسأل الله أن يحفظنا ويطهر ديار المسلمين من كل ما فيها من رجس وآثام-أنت لست متضررًا من هذا لكن نفسك يحصل فيها من الكدر ما يحصل.

في الحالتين أنت غير مستفيد، لا في الطاهر الذي يسعى إلى الخير ولا من الذي تلبّس بشيء من الإثم، لكنك تحب هذا وتراه مظهرًا من مظاهر الطُهر، وتبغض هذا وتراه مظهرًا من مظاهر الرجس والإثم. فالنفس تحب الخير بطبيعتها وتستبشر به، وتبغض الشر بطبيعتها وتنقبض منه.

فمن مصالح الشهر الكريم: الاستبشار بعمل الخير الذي يدخل بدقة وبلطف إلى قلوبنا. فمثلًا ترى الناس يخرجون إلى صلاة التراويح، ونفسك تنشرح سواءً صليت أو لم تصلِّ معهم، وترى الناس في الحرم مزدحمين ومقبلين على بيت الله فينشرح صدرك، فالنزاهة والطهارة أمر تحبه النفس، فيأتي الشهر الكريم والناس كلهم مجتمعين على الإقبال على ما يطهرهم ويزكيهم، ويلوم بعضهم بعض إذا وقع منهم شيء من عدم التزكية. يصل الأمر في حب النزاهة والطهارة وكراهية عكسها أن الناس يلوم بعضهم بعضًا على تضييع الوقت فيصبح تضيع الوقت حسّاس. فالنفوس كانت في رمضان متأهبة للطهارة والنزاهة، تشعر بها وتحبها، فعندما تخرج من الشهر يبقى علينا أن نمد هذا الذي وجدناه في نفوسنا تميل إليه من الاستبشار بالخير وحبه.

نفوسنا بفضل الله مفطورة على حب الخير، وعلى فعله، وعلى الاستبشار به. في رمضان إذا وقفت عند إشارة وتجد شابًّا يخرج مصحفه ويقرأ فيه إلى أن تنفتح الإشارة، هذا أمر يدخل إلى قلبك السرور الذي سببه الاستبشار بأنه سيأتي جيل فيه خير. يُقال لك صفوف الرجال والنساء في الحرم فيها شباب وشابات كُثر يتراوح أعمارهم بين 15سنة و20 سنة، هذا يدخل إلى القلب السرور رغمًا أنه ليس ولدي ولا ابنتي، لكن في النفس حب الخير.

أصحاب الفطرة السوية يحبون الخير لأنفسهم ولغيرهم ويستبشرون بانتشار الخير، وهذه من أعظم ميزات أهل السنّة التي تظهر بقوة في شهر رمضان، أكثر ميزة تظهر في شهر رمضان أن النفس تستبشر بالخير وتحبه، وتحب أن تزكي نفسك والناس يزكوا

أنفسهم، وتحب مظاهر تزكية النفس. فمثلا تجد الناس يوم الاثنين يفطرون في الحرم فتشعر بالفرح، تستبشر بمظاهر الإيمان، وهذا أمر لا يخفى علينا في أنفسنا حب الإيمان نسأل الله أن يجعلنا مؤمنين صادقين.

ومن علامة صدق الإيمان: الاستبشار بظهور آثار الإيمان في المجتمع؛ لأن من علامة النفاق كما في سورة التوبة كراهية انتصار وانتشار دين النبي-صلى الله عليه وسلم-، والفرح بعكس ذلك وتجد مِصداقها في كتاب الله كما في سورة التوبة، المنافقين أو في غيرها.

إذًا من علامة الإيمان الاستبشار بانتشار دين النبي-صلى الله عليه وسلم-وظهور مظاهر الدين، واستقامة الناس عليه وهذا إن كان شيء من الدين-بل من عظيم دلائل الإيمان-فهو مما يوافق الفطرة السوية.

الفطرة السوية بدون دين، مثالها ترى أحدا يقبِّل يديّ والديه ويسعى معهما ويحملهما فتقف باكيا؛ السبب أن هذا يوافق الفطرة السوية وتستبشر به، فإن كان هناك إيمان وهذه الأفعال من أجل الله، وينتظر أجرها عند الله فهذا أكيد من دلائل الإيمان.

فمع مُضِي هذا الشهر العظيم-أسأل الله العظيم أن يقبل منّا جميعًا والمسلمين الصيام والقيام ويغفر لنا ما حصل فيه من زلات ونقص-خرجنا بنفوس تحب الخير، ونسأل الله أن يعيده علينا سنين عديدة ونرى أنفسنا كل سنة تزداد محبة للخير والطهر ومحبة انتشار دين الرسول-صلى الله عليه وسلم-فمثلا يقولون لك: شوارع مكة مغلقة من كثرة المصلين، وأُغلقت أبواب الحرم الساعة التاسعة من يوم الجمعة من كثرة الناس في داخلها. هذه كلها مشاعر جميلة أن هؤلاء مقبلين لا يريدون إلا وجه رب العامين فلا يوجد هناك من يوزع لهم شيء، لا مال، ولا دنيا، ولا أي شيء. والناس كانوا يوم الخميس يصلون صلاة التراويح ويباتون في الحرم منتظرين صلاة الجمعة، هذه النفوس المقبلة المشتاقة ماذا تريد؟ لكن من حب الإيمان وأنت ترى هذه المظاهر-وإن لم تشاركهم-أن يحصل الاستبشار، وهذا كما اتفقنا في السورة من علامات حسن الخاتمة أن تستبشر بالإيمان وتحبه وترغب فيه وتحب انتشاره، فبقاء هذا في قلبك سيقابل بالنسبة لأهل الكفر والباطل قوله تعالى: {وَمَاتُواْ وَهُمْ كَافِرُونَ}. فهؤلاء يستبشرون فيُرجى بسبب استبشارهم أن يستمروا على الدين وأن يختم لهم به، وأولئك في المقابل: {وَمَاتُواْ وَهُمْ كَافِرُونَ} بسبب بُغضِهم للدين وشعائره ومظاهره.

هذا الزمن لا بد أن يكون زمن الاستبشار، والسبب في ذلك كلّما زاد الأمر ضيقًا وكلّما زادت الظلمة وحلكتها، كلّما تيقّنا بقرب الفجر ونحن على يقين من ذلك، وهذا الدين منتصر وأهله منتصرون وسيرفعهم رب العالمين، لكن قد نعيش حتى نرى الانتصار ونرى علوه وظهوره وقد لا نعيش فنُقبِل على رب العالمين بهذه العقيدة السليمة التي أصلها حسن الظن بالله، واليقين بأن الباطل لا يمكن أن يبقى عاليًا على الحق بل إنما هو اختبار لأهل الحق أن يأتي الباطل زمنا ويعلو عليه ثم يعود الحق فيستقر الأمر له.

هذا اللقاء سنناقش فيه الجزء الثاني من آية التوبة بالتفصيل.

{وَإِذَا مَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيمَانًا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُواْ فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ}[1]

(1) [سورة التوبة:124]

الله أخبرنا في بداية الآية عن المنافقين، حين تنزل سورة يسأل بعضهم بعضًا: {أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيمَانًا} فيجيب عليهم رب العالمين: {فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُواْ فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ} قلنا في اللقاء الأول إن نزول السورة فيه مصلحتين لأهل الإيمان: زيادة الإيمان والاستبشار. ناقشنا بشيء من التفصيل في مسألة زيادة الإيمان، اليوم تركيزنا على مسألة الاستبشار:

الآية {وَإِذَا مَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ} معناها أن هذا وقت نزول القرآن، فهل نحن نشاركهم في هذا الحال، أن المؤمنين يزدادون إيمانًا وهم يستبشرون!

قال ابن عطية–رحمه الله–: وهذا حكم من يتعلَّم العلم في معنى زيادة الإيمان ونقصانه إلى يوم القيامة، فإن تعلُّم الإنسان العلم بمنزلة نزول سورة القرآن.

بمعنى أن الآية ليست حصرًا على وقت نزول القرآن، إنما هذا حكم من يتعلم العلم، فإن تَعَلُّم الإنسان العلم بمنزلة نزول سورة من القرآن. الآية تناقش وقت نزول القرآن وكيف كان رد المنافقين أنهم يسألون: {أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيمَانًا} وهذا ليس معناه أنه أمر انتهى بل كما قال ابن عطية: "فإن تَعَلُّم الإنسان العلم بمنزلة نزول سورة من القرآن"، فكل مرة تتعلم فيها: النتيجة المتوقع يحصل لك الأمرين زيادة الإيمان والاستبشار وهذا حكم من يتعلم العلم.

أقول العلماء في قوله تعالى: {فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُواْ فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ}

قال الطبري رحمه الله: يقول الله: (فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُواْ): من الذين قيل لهم ذلك (فَزَادَتْهُمْ): السورة التي أنزلت (إِيمَانًا)، (وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ): وهم يفرحون بما أعطاهم الله من الإيمان واليقين.

الاستبشار بالإيمان واليقين

هذه الجملة تحتاج إلى شيء من التفصيل لنرى بأي شيء تكون البشرى، وهذه البشرى يقابلها قوله تعالى: {وَمَاتُواْ وَهُمْ كَافِرُونَ}

فبأي شيء سيفرح هؤلاء المؤمنون الذين سمعوا الآيات وزادتهم إيمانًا؟ يقول الطبري بما أعطاهم الله من الإيمان واليقين. إذًا المعنى المتوقع بعد كل مرة نقرأ فيها القرآن أن يزداد الإيمان في قلوبنا (الإيمان يتصل بالأمور الغيبية)، وأنه سيزداد في قلوبنا الإيمان حتى يصبح هذا الإيمان يقينًا راسخًا، ثم يفرح الإنسان باليقين. إذًا الآية تسمعها ماذا تفعل بك؟ تزيدك إيمانًا حتى تصبح المفاهيم التي تسمعها في القرآن يقينية لا شك فيها، ثم بعد حصول اليقين يحصل الفرح باليقين.

هم الآن يحصل لهم اليقين وعندما ينظرون إلى اليقين ويجدون نفوسهم قد وُجد فيها اليقين يحصل لهم من انشراح الصدر ما يحصل، ويجدون أنهم لو حصلوا على اليقين؛ فقد حصلوا على أمر عظيم. وهؤلاء عندهم الآخرة أهم من الدنيا، فإذا حصلوا على اليقين يستبشرون به، يشعرون أنهم قد حصلوا على أمر عظيم. فاليقين في داخل النفس–وهو مؤمن أن هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم وأن هذا كلام الله وأن هذا الدين الحق–لا يستطيع أحد أن يشتريه بأموال الدنيا. فاليقين في القلب لا يُشترى ولا يُباع ولا تستطيع أن تكسبه من تجارة الدنيا، إنما إذا تاجر الإنسان مع الله يتيقّن فيفرح بمكسبه ويستبشر به ويرى هذا الذي كسبه لا يستطيع أحد أن يصل إليه.

هم يستبشرون بعد حصول اليقين، هذا شيء زائد على حصول اليقين ومصدره اليقين. هذه جملة مهمة جدا تحتاج إلى تفكيك، نبدأ أولا باليقين...

اليقين: هو درجة من الدرجات التي يخطوها الإنسان بعد العلم، حالة الإنسان مع أي معلومة إما جاهل أو غافل أو شاك. تنزل السورة يكون جاهلًا فيتعلم الحقيقة، فمثلا كان جاهلًا بالملائكة العظام، جاهلًا بمآل المؤمنين، جاهلًا بمعاملة الله لخلقه، جاهلًا أن الله معه وقت صبره، جاهلًا أنه إذا اتقى فرّج الله عليه، أمثلة كثيرة على ذلك. فإذا جَهِلَ بأن رزقه مكتوب وأخذ يضارب ثم قيل له: {مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي الأَرْضِ وَلا فِي أَنفُسِكُمْ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ (22) لِكَيْلا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ}(1) فَهِم الآية ثم تفاجأ لأنه كان جاهلًا بالمسألة. فلما تنكشف عنه هذه الغمَّة–غمَّة الجهل–فهذه الدرجة الأولى فالآن تعلَّم وعرف المعلومة وعرف أنه لا يضارب بل يسعى بهدوء وسيصل وسيجده محفوظًا ثم الموقف بعد الموقف يربّيه الله فتظهر له المسألة كالشمس ويقول: حقًّا إن رزقي محفوظ، الناس يتضاربون وأنا بفكرة أُلهمها في دقيقة وأُحصِّل رزقًا ما حصَّله هؤلاء فيزداد يقينًا.

الدرجة الأولى كان جاهلًا بالمسألة تعلَّمها من القرآن ثم تأتي المواقف بعد المواقف يتأكد من صحة هذا الكلام ثم يعود فيقرأ القرآن فيزداد فهمًا وتصبح كالشمس ويفهمها حرفًا حرفا، هذا الذي عاشه يقرؤه حرفا حرفا يزيد مع الأيام ويزيد مع تربية الله ويزيد مع التجارب ويزيد مع المواقف ويزيد مع ما يحصل له أو يحصل لغيره. هو الآن ينظر إلى الواقع ويجد شواهد كثيرة على هذه الحقائق وهو يجمعها فتصبح كالحزمة–يذكرها أو لا يذكرها ليس هذا الشرط–فهو في داخل نفسه أصبحت هذه البقعة بقعة ضوء واضحة بأنه لا يوجد أحد ينزع منك رزقك ثم يقرأ في القرآن مرة أخرى فتزداد هذه البقعة إضاءةً ونورًا وبيانًا فيمشي في الحياة على هذا النور، يكون ميت في هذا الجزء يحييه الله، يكون في ظلمة ينير له الله {أَوَ مَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ}(2) فهو لا يتخبط فيهم، إنما عنده نور يمشي به في الناس.

عندما يأتي أحد يقول إنه يخشى من أحد أن يأخذ منه ترقيته، ولا بد أن يجري من أجل أن يحافظ على مكانته، وتعب من كثرة ما يدفع هذا وهذا، لكن مَن عنده قوة يقين في داخله يستعجب منه، ولا يدري من أين يبدأ له الكلام لينصحه وكيف ينقل له اليقين الذي بداخله. فنور اليقين الذي بداخله لا يستطيع أن يرى الظلمة التي يعيشها الناس في هذه المسألة التي انكشف فيها الجهل عنه فأصبح له قدم راسخة في هذا الباب. ثم إذا رأى ذلك مازال تائها–يجري ويضارب ويحارب ويظن أن هذا أخذ منه–يفرح بما رزقه الله به من اليقين، ويرى كم قد منّ الله به عليه، فهو يعرف ومتيقِّن ومطمئن أنه لا شيء يسبب له القلق أو الخوف فيأتي الفرح بما تحصّل له من اليقين.

فاليقين شأن والفرح به شأن آخر لا يشعر به إلا من يشعر بنعمة الله، والناس يعيشون في نعمة الله لكن لا يشعرون بها فيحصل لهم حالة عدم الاستبشار وعدم الفرح.

---

(1) [سورة الحديد:22-23]

(2) [سورة الأنعام: 122]

ولتدركوا هذه المسألة تصوروا أحوال المسلمين، خاصة في هذه الديار فتحوا أعينهم على السنَّة-لا يعرفون قبورًا ولا أضرحة ولا أحد يتمسحون به ولا أي شيء من أنواع الشرك-فالغالب لا يفرح بهذا الأمر ولا يشعر أنّ الله منّ عليهم ولا يستبشرون بكونهم موحدين خالصين، وُلدوا على التوحيد، تربّوا على أن ربهم هو العظيم وأن يسيروا وراء نبيهم صلَّى الله عليه وسلَّم، ما عندهم أسماء أخرى لامعة في سماء دينهم، ما لهم إلا العلماء يدلونهم على طريق رسول الله-صلَّى الله عليه وسلَّم-فيسيروا وراءه إلى ربهم. نعمة عظيمة هذا التوحيد، منّة لا يكاد الإنسان يستطيع وصفها، ونحن لا نرى أنفسنا نستبشر بها والناس يتفاوتون في الفرح بذلك. إذًا اليقين أمر يعيشه الإنسان والاستبشار بهذا اليقين أمر فوق وقوع اليقين.

لذا يقول الطبري: "**وهم يفرحون بما أعطاهم الله من الإيمان واليقين**"، فرحهم بالإيمان واليقين. عندما يقول له أحد: لقد كسبتَ مائة ألف، كسبتَ مليون، أو أعطوك أرضًا...فلا ينام ليله ويبقى طوال تلك السنة في فرح وهذه الدنيا لا تساوي عند الله جناح بعوضة! وقد كُتب لكل عبد فيها مقسومه، لكن اليقين هو العطاء الذي لا مثيل له، لو اجتمع الناس على إزالة شك من قلب أحد، ما استطاعوا ربما استطاعوا أن يزحزحوا جبلًا ولا يستطيعون أن يزيلوا شكًا.

إذا كنت في حالة من المعرفة اليقينية وفي حالة من الثبات والاستقرار النفسي وتعرف الحق والباطل فهذا يستلزم منك أن تفرح بنعمة الله وأن تستبشر وتبشِّر غيرك بها، فأنت تعرف الحقائق والناس يتيهون في المتاهات ولا يعلمون كيف يفسِّرون ما يعيشون، وأنت تعرف أن هنا لطف الله بك، هنا حفظك الله، هنا جبرك الله. وتسمع أحدًا لا يعرف الله ويقول لك: أنا حظي جيد وكل مرة أقع في ورطة ألقى مخرجًا، وكل مرة تكاد السيارة تذهب بي ثم أجد لي باب نجاة...لكنك ترى كل هذه رسائل من الله لم يعرف كيف يترجمها إنما هي آثار لطف الله، وأراد الله منه أن يقرأها ليزداد إيمانًا ويزول ما في قلبه من شك لكنه ما استطاع أن يقرأها.

فتصوَّر نفس تقرأ الحياة بما عرفت عن الله وتجلس بجانب أحد أُمّيّ لا يقرأ، والكلام الذي تقرؤه وراءه إما نجاة أو سقوط في هاوية، ومعك إرشادات، فإذا قرأت جيدا ستخرج إلى النجاة وإن لم تعرف القراءة لن تنجو! تصوَّر هذا الموقف كم في القلب من حزن على هذا الأُميّ الذي لا يستطيع أن يقرأ، الناس يعيشون الحياة أُمّيّين لا يعرفون قراءة أفعال الله.

النتيجة: أن مَن يستطيع القراءة، عليه أولًا أن يفرح بقدرته على القراءة ثم يدلّ هؤلاء ويساعدهم على القراءة. وإذا لم يستطيعوا أن يخرجوا من أميتهم فهذا أمر الله. أنت تحمد الله أنك تعرف كيف تقرأ؛ لأنني لو لم أتمكَّن من القراءة سأتوه، وهكذا من يقرأ الحياة ويعرف أفعال الله يستبشر بما أعطاه الله من الإيمان واليقين.

إذًا هذه عبادة عظيمة لا بد من تحريكها في القلب لأن الناس يكتئبون اليوم إذا نقصت عليهم أشياء لا قيمة لها، فبأي شيء تستبشر! كل الدنيا لها عوض لكن الإيمان واليقين لا عوض لهم، وكل الدنيا يمكن أن تأتي بما تشتريه أما الإيمان واليقين لو اجتمع الناس بأموالهم على أن يدخلوه إلى قلبك ما استطاعوا، ليس له ثمن، وهذا يأتي بالتجارة مع الله.

المقصد أن هؤلاء يفرحون-كما قال الطبري-بما أعطاهم الله من الإيمان واليقين. فالإيمان واليقين حالة تأتي من قراءة القرآن ويزداد بها الإيمان. يزداد الإيمان واليقين بقراءة القرآن ثم الحالة الجديدة التي نناقشها حالة الاستبشار، الفرح بما رزقنا الله.

فكل مرة نحتاج أن نشعر بمنّة الله. وإذا قدرت نعمة الإيمان واليقين، فهذا دليل على التفاتك عن الدنيا وإقبالك على الآخرة. وإذا ازددنا فهمًا للاستبشار سيتبين لنا لماذا ذُكر الاستبشار أمام {وَمَاتُواْ وَهُمْ كَافِرُونَ}؛ لأن الذي فرح بنعمة الله سيحمد الله على النعمة، والمستبشر بنعمة الله سيحافظ على النعمة. وكلّما زاد شكرًا كلّما أُعطي له زيادة وفُتِحت له أبواب، وكلّما زاد شكرًا لله-سبحانه-كلما زاد ذوقا لنعمة الله. فهذا الفرح لا يقابله ولا يوازنه فرح أبدًا لمن عرف حقيقة الدنيا وعرف ما معنى أن تزداد إيمانًا ويقينًا. معناها أنك ستثبت على (لا إله إلا الله) وقت القبض، ومعناها عند دخولك قبرك ستثبت وقتما تُسأل الأسئلة الثلاثة، ومعناها وقتما تخرج من القبر تكون ممن حظي بعناية الملائكة، ويكون الخمسين ألف سنة للناس عندك كما بين صلاة الظهر والعصر. هذه كلها مصالح عظيمة لمن قدّر على ماذا سيُقبِل. الناس يعيشون يومهم ولا يقدرون غدًا أين سيكونون والشجرة الطيبة {كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاء تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا}(1) يقابلها الشجرة الخبيثة {كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ الأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ}(2) ثم يقول ربنا: {يُثَبِّتُ اللّهُ الَّذِينَ آمَنُواْ بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ}(3) القول الثابت نتيجة وجود الإيمان واليقين والاستبشار بهما.

قال ابن عادل: "(فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُواْ فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا) أي يقينًا وتصديقًا (وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ) أي: يفرحون بنزول القرآن وقيل: بثواب الآخرة. وقيل: بالنصر والظفر".

كل هذه المعاني مقبولة ليس بينها تعارض. فكل واحد من هذه المعاني يحتاج أن نعيش معه الاستبشار:

الاستبشار بنزول القرآن

صاحب الإيمان يستبشر في زمن النزول بنزول القرآن والآن يستبشر بالتعلّم كل مرة يتعلم آية أو سورة يحصل في القلب الفرح. أمس لم يكن مثل اليوم، تتعلم الآية فتقول: اليوم زدت معرفةً وعلمًا ويقينًا، وسكت صوت باطلٍ في قلبي، وارتفع صوت حقٍ في قلبي، وأنير لي مكان الظلمة، وانفتح لي مكانًا مغلقًا. هذه المعاني تشعر بلذتها عندما يكون قلبك مع لسانك يقرأ ويفهم ويتدبر ويسأل ويبحث إلى أن يُجاب عليك ثم ينفك إشكال كبير كنت تعيشه.

فكل آية تقرؤها وراؤها مفاهيم وأنت تستنير وأمثلة ذلك: كيف أن السفينة لها معنى، والريح لها معنى، والسحاب له معنى، والأرض تحت قدميك لها معنى، والجبل له معنى، والبشر واختلاف ألسنتهم وألوانهم لهم معنى، فإذا لم يكن عند الناس معاني لهذه الأشياء فهم تائهين، بحيث يستغنون عن حياتهم في لحظة بسبب الاضطرابات النفسية التي يعيشونها وهذا معروف في بلاد الكفر وأيضًا معروف في بلاد الإسلام للسبب نفسه أنه ضائع تائه لا يدري أين هو، ماذا يريد لا يدري من أين أتى وإلى أين المصير!

نحن نفرح بتعلّم القرآن ويظهر لنا الأمر، كلما تعلّمنا وتبيّن لنا معاني كانوا الناس تائهين فيها وأنت الأمر عندك يسير جدًا. فالناس يجتمعون ويختصمون في مسألة: هل أصل الإنسان قرد! وأنت ليس عندك مشكلة، في داخلك يقين تام لا يحتاج أن يناقشك فيه أحد. إذا وجدت أحد من أهل الاسلام وضع قدمه في مكان غير مناسب ستقول: ما حصّل الإيمان واليقين ومن ثم

(1) [سورة إبراهيم: 24-25]
(2) [سورة إبراهيم: 26]
(3) [سورة إبراهيم: 27]

الفرح والاستبشار لأن الذي يفرح ويستبشر بالمعلومة يقول: هذا شأنكم أنا لا أدخل في التيه، أنا أعرف أصلي وكيف خلق الله آدم وكيف كرَّمه وكيف رفعه وماذا فعل إبليس، كل هذا معروف بالنسبة لي. فمن السفه أن يتداول الناس بعض الكلمات والألفاظ الأجنبية ولا يدرون أنها ترمز إلى أمور وخرافات والناس يمارسونها.

فمثلًا قبل عشر سنين كان هناك عطر اسمه باندورا وهذا الاسم يرمز لأسطورة إغريقية تقول: إن الإله–تعالى الله عما يقولون– أراد تعمية آدم عن أن يصل إلى الخلد، فأتى الشيطان ينصحه إلى طرق الخلد! وهذه قصة شيطانية ومنها أتوا عبدة الشياطين، وهذا خلاف ما في عقيدتنا أن الشيطان يريد غروره، تنبّه الإله–كما يقولون–فأنزل آدم إلى الأرض ومعه صندوق مليء بالشرور فلما فتحه خرجت باندورا التي هي حواء، فحواء تعتبر عقوبة له. فالناس تستخدم هذا العطر بدون أن يتصوروا أن له بُعْد. والمقصد ليس هذا وإنما أن تيههم وأفكارهم يسكتون عنها زمنًا ثم يعيدونه وأنت تعلم الأمور بوضوح وكل شيء لا تحتاجه لم تُخبر عنه، وكل شيء تحتاجه أُخبرت عنه، فأنت لك حق أن تفرح بنزول القرآن وتستبشر. كل ما ينفعنا في التعلم سنجده في القرآن، والذي لا ينفعنا لا نجده، هذا يسبّب لنا الاطمئنان، نتصور الحياة بصورة واضحة بدون تذبذبات–لا عما مضى في الحياة ولا على ما هو آتٍ–لا بد أن تقدِّروا وضوحه وأن تفهموا أن النفس التي ليس لديها هذه الاجابات تبقى متذبذبة.

من كثرة النعمة ينسى الإنسان أنه في نعمة وهذه حالتنا. من كثرة ما لدينا من إجابات على كل شيء لا نشعر أننا مُنعم علينا بشيء والصحيح أن حق هذه النعم كلها أن تفرح بها. كل آية تقرؤها وتفهمها وتعرف عنها لا بد أن تشعر أنها نعمة عليك. هذه المعرفة بنفسها نعمة، لذاتها نعمة فكيف عندما تكون عبارة عن نور يجعلك تعلم ماذا يجب عليك أن تفعل، ورحلتك في الحياة كيف تسير فيها وكيف تنجو ولا تهلك.

الاستبشار بثواب الآخرة

أيضا في كلام ابن عادل الاستبشار يكون بثواب الآخرة، كل مرة تقرأ فيها آيات تُخبر عما سيكون في الآخرة لأهل النعيم وكيف يتاجرون مع الله، وكيف عندما يدخلون الجنة يقولون: {الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ (34) الَّذِي أَحَلَّنَا دَارَ الْمُقَامَةِ مِن فَضْلِهِ لا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ}[1] تسمع هذا وتقول: نعم، سيذهب عن المؤمنين الحزن يوم القيامة حين يدخلون الجنة ويصبح الحزن كأنه ما كان. أنت في الدنيا تعيش الحزن والضيق والنقص ولكن ستأتي اللحظة التي ستقول فيها: (الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن) إذا وُفقت وثبت على الطريق وأنت مؤمن على يقين أنها ستأتي هذه اللحظة فتتأملها وترجوها وتفرح بها وتفرح بكونك عرفت أنك ستقولها. كل كلمة تسمعها في القرآن عن الدار الآخرة يقين وحق، بقي أن تسأل الله أن نكون من أهلها. هي ستكون حقًا وسيبقى المؤمنون {عَلَى الأَرَائِكِ يَنظُرُونَ (35) هَلْ ثُوِّبَ الْكُفَّارُ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ}[2] نسأل الله أن نكون من هؤلاء اللهم آمين.

الاستبشار بالنصر والظفر في الدنيا

(1) [سورة فاطر: 34-35]
(2) [سورة المطففين: 35-36]

الآيات كثيرة في كتاب الله دالة على أن الله سيمكّن الذين ءامنوا، وسيكون لهم الدول، وسيذهب أهل الكفر، لكنها اختبارات تمر على أهل الإيمان متى ما نصروا دينهم سينصرهم الله، قال تعالى: {إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ}(1)

فيفرح الإنسان أنه عرف الطريق. كل يوم الناس يأتون بأطروحة لصلاح المجتمع، وأنت مع اليقين الذي تعيشه تعرف أن كل هذا المطروح وإن كان صائبًا وصحيحًا في حق غيرنا ففي حقنا الأمر مختلف، فالظفر والنصر مرتبط بالإيمان {إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ} المعنى أنه لا يوجد طريق إلا هذا الطريق.

وقد مر علينا سابقا مثالٌ واضح سيبقى في أذهاننا، كل الأطروحات التي يطرحها المسلمون الخيّرون الطيبون للحلول لنهضة المجتمع الإسلامي كلها خير وبركة لكنها بمثابة الأصفار والواحد هو الإيمان، فإذا أتى الإيمان كأننا نضع (1) وتأتي الحلول بمثابة الأصفار. فإذا وضعت الأصفار في مقابل الواحد يصبح له قيمة، يصبح مئة، ألف، مليون، لكن إن نزعت الواحد تبقى أصفارا لا قيمة لها. فكل الأطروحات التي تكلمك عن التغيير الاجتماعي، الاقتصادي، السياسي بمثابة الأصفار، فإذا لم يوجد إيمان، لم يوجد نصر ولا فوز ولا فلاح.

النساء أكثر ناس يُعلق في رقابهم مسألة النصر والفوز والسبب أن تحت أيديهم الرجال والأبناء والتربية. وهم لما أرادوا طعن العالم الإسلامي استعملوا المرأة والمسألة واضحة تمامًا. تفهمين أن تربية الإيمان للجيل القادم تساوي النصر والفوز وبه نفرح بأننا وإن لم يحصل ويمد في أعمارنا أن نذوق فرح الفوز فليذوقه أبناءنا وأحفادنا، وليكون في موازيننا يوم القيامة ما يكونون فيه من النصر والفوز، يفرحون به في الدنيا ونحن نفرح بأجره يوم القيامة.

نحن متيقنين واثقين ولا يدخل في أنفسنا شك بأن النصرة لهذا الدين، وإن دارت الدوائر فهو بسبب التقصير في الإيمان والدين ولن نعود إلى المكان إلا بالإيمان والدين. والحمد لله رب العالمين الأمر على الأقل واضح أمامنا غير مشوش ولا نحتاج أن نحفر في الأرض ولا نعلو إلى السماء، أنت تحتاجين للإيمان فازرعيه والله يفتح بركات الأرض على الخلق. وتفكروا في هذه الدولة المباركة، هذا البترول يبقى محبوسًا كل هذه السنين، وهذه الأمم لا تتقدم ولا تحتاجه إلا في هذا الوقت، وترتيب الأحداث يكون بظهور التوحيد ويظهر الدفاع عنه والاهتمام به فتحتاج الدول البترول ويحبسه الله عندنا، فيحتاجنا أهل الكفر مع ضعفنا ونقصنا.

فمتى فُتحت بركات الأرض؟ لما جاء التوحيد، والله يملك بركات الأرض ويخرجها للخلق، فمن عرف هذا، عرف أن الفرح سيكون اليوم بأننا نعرف الطريق ولسنا تائهين. أنت ترين نفسك امرأة بسيطة وما معك إلا بيتك، وترين أن موضوع النصر كبير عليك، لكنك ستكونين جزء من منظومة كبيرة في العالم الاسلامي وسيأتي الفرح لكِ ولذريتك. وإذا لم تحصّليه في حياتك ستجدين أجوره يوم القيامة عندما تجعلين الإيمان هو عماد هذا البيت، وهو ما تطلبينه وما ترغبينه وما تؤملين أبناءك فيه. ليس كل يوم تقولين له ادرس لكي تكبر وتصبح موظفًا وعندك راتب، ليس هذا ما نرغب به ونفرح به، إنما نريده مباركًا أينما كان ولن يكون مباركًا إلا بالإيمان، وأنت لا تحترمين طبيبًا يغشك أو مهندسًا يخدعك وكذلك لا تريدين أن يكون أبناءك بهذه الطريقة ولا يردهم عن هذا إلا الإيمان.

---

(1) [سورة محمد: 7]

فالمقصد أننا سنفرح ونستبشر بالقرآن لأن وراء القرآن الوعد بالظفر والنصر لهذه الأمة ونحن على ثقة أنها أمة النصر. والطريق واضح اقرأ مثلا سورة محمد يتبين لك جزء من آية تضعه أمامك {إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ} تنصرونه في نفوسكم، وتنصرون دينه، وتجاهدون في سبيل الله ينصركم.

فالبداية في هذه الأسرة الصغيرة إلى هذه الأمة الكبيرة وتبقى المرأة عماد كل هذا الذي ندور حوله، نسأل الله–سبحانه وتعالى– أن يوفق نساء المسلمين جميعا للعودة للإيمان والتقوى واليقين ويجعل هذا هو المرغوب المطلوب الذي يفرحون به، ويبقى الإيمان والقرآن والاستقامة والصلاة هم مقاييس الفرح بهؤلاء الأبناء، وليست الدنيا والجري وراءها هي مقياس الفرح. ولا يطمِّع الأبناء في الدنيا إلا آباء ما عندهم كلام إلا الدنيا، ولا يطِّمع الأبناء في الآخرة إلا آباء ما عندهم مطمع إلا وجه الله، وهكذا تُبنى الأمم. والتاريخ واضح كيف كانت مطامع القوم بأي شيء يفرحون، نسأل الله–عزّ وجلّ–بمنّه وكرمه أن يجعل فرحنا بما عنده وبالإيمان والتقوى وبظهور مظاهر الإيمان في كل مكان وبالمصلين الذي يصلون الفجر ويخرجون من بيوتهم من أجل الله ويجتمعون على القرآن اللهم آمين.

ننتقل إلى بيان معنى الاستبشار:

والاستبشار: استدعاء البشارة؛ لأنه كلَّما ذكرت النعمة حصلت البشارة، فبالتذكّر يطلب تجدد البشارة.

استبشر معناها عملية متجددة، أي اطلب البشارة فأنت حين تقرأ في القرآن بشِّر نفسك بما فيه، كلما ذكرت النعمة أن هذه سنَّة الله، أن هذه معاملة الله، هذا هو الله الذي أعامله. تذكِّر نفسك أن صبرك على الشوكة تشاكها معك فيه الله فكيف أعظم من ذلك (إن مع الله الصابرين)، عندما تقرأ هذا جدِّد لنفسك البشارة، ذكِّرها، ناقشها، كلمها: "أن أبشر فالله معك" والذي معه الله لن يضيع ولن يتوه. بشِّر نفسك واستدعِ لنفسك البشارة.

{وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ} أي وهم يبّشرون أنفسهم بما يجدونه في كتاب الله من حقّ ويقين ونِعَم.

كلِّم نفسك كلما وجدت في كتاب الله ما تستبشر به، عندما تسمع من هو الله، وكيف أنه–سبحانه وتعالى–يرزق من يشاء، وكيف أنه–سبحانه وتعالى–هو الحفيظ، وكيف أنه–سبحانه وتعالى–القريب المجيب، وكيف أن من يتقيه يجعل له مخرجًا، قُل لنفسك: أبشر سيكون لك مخرجًا من بعد الضيق، ولا أشك أبدًا. استدعي لنفسك البشارة وهذا عمل لا يأتي إلا من وراء اليقين، كن متأكدًا أن الجملة التي تقرؤها في القرآن حق وصدق ومن كلام الله ولا يمكن أن يتخلف وعد الله إن أتيت بأسبابه، إن قال لك إنه مع الصابرين؛ كُن حقا صابرًا وسترى كيف أن الله معك. فإذا قرأت وأنت متيقن (معك إيمان)، بقي عليك أن تستدعي البشارة بشر نفسك وقل لنفسك: إن الفرج قريب، فمن يتقِ الله يجعل له مخرجًا ويرزقه من حيث لا يحتسب، وهذه البشارة ستغيظ الشيطان وسيكون العبد بهذه البشارة أقرب للرحمن لأن الشيطان يعدكم الفقر (لو أنفقت سيحصل لك، لو فعلت من الطاعات سينقص عليك، لو استقطعت وقت للصلاة لن ينتج لك...ولن تنتهي من...ولن تجد وقت...وسيفوتك..).

فمثلًا اتصل عليك أحد يقول لك إنه خارج من البيت وبينك وبين المتصل نصف ساعة في المشوار وأنت واقف تريد أن تصلي، الشيطان يقول إنه الآن سيكون عند الباب وأنت تعرف لا يمكن ذلك فلو كان الطريق فارغًا سيأخذ على الأقل عشرين

دقيقة، هذه العداوة (يعدكم الفقر) يشعركم دائمًا أن الفرص ستفوتكم وسيحصل لكم ما يؤذيكم. فلما تستبشر بكلام الله تغيظ بذلك الشيطان، وغيظ الشيطان قربة إلى الله يتقرب بها الإنسان إلى الله-عزَّ وجلَّ-لأنه يغيظ عدوه، فلا يمكِّنه من نفسه، وأبغض ما على العدو أن يجدك منشرح النفس مقبل على ذكر الله وطاعته.

لذلك تجدون اليوم الاضطرابات النفسية والاكتئاب من تسلط الشيطان علينا، وطبعا له جانب طبي لكن ليس موضوعنا، موضوعنا أن الشيطان يتشمم قلب الإنسان فإذا وجده ضعيفًا تسلط عليه ويجلب له الاكتئاب والحزن. وأنت حتى لو أُصبت بالاكتئاب والحزن قل لنفسك: أبشر حتى هذا الاكتئاب والحزن وراؤه الأجر حتى تغيظه.

المقصود أننا في نعمة عظيمة لأننا نعرف من ربنا وكيف يعاملنا، حتى الشوكة نشاكها تكون سبب لفرحنا بأن تطهّرنا. والمريض يمرض وتقول له: اطمئن أنت تقوم من مرضك ما عليك خطيئة تمشي، فتبقى كل الحياة عبارة عن استبشار. أما الاكتئاب والأحزان الذي يدخل علينا من الشيطان والإعلام نرده وتبقى نفوسنا متعلقة بالله، فكلما أظلمت الدنيا أكثر فالفجر قريب ونحن على يقين.

{وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ} أي يستدعون لأنفسهم البشرى بتجدّد النعمة. تجدّد النعمة أي أن الآية قرأتها وفهمتها اليوم كأنك ما قرأتها قبل ذلك وعشتها كأن حروفها ومعانيها واضحة تماما أمامك. كل هذا استدعي له البشارة والله-عزّ وجلّ-يؤجر الإنسان على هذه السعادة بالاستبشار بدين الله وبكلام الله وبالثقة بالله.

قال أبو حيان رحمه الله: (وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ) بما تضمّنته من رحمة الله ورضوانه.

يستبشرون بالسورة التي تنزل لأن السورة تتضمن رحمة الله ورضوانه، رحمة الله ورضوانه المقصود بها أنك لا بد وأنت تقرأ في القرآن أن تجد أسبابًا لرضى الله، تجد أسبابًا لنزول رحمة الله، تجد أسبابًا للوصول إلى رضى الله.

فالمعنى أن الطريق إلى رحمته ورضاه ليس غامضًا ولا عند أحد معين، كما في دين الكنائس هؤلاء يعطون صكوك الغفران، وهؤلاء يحبسون الدين، وهؤلاء يشوهونه كما يريدون. تقرأ القرآن، وتسمع في كتاب الله كيف تصل إلى رحمته، وكيف تصل إلى رضوانه فيبقى الباب مفتوحًا لكل مقبل، وهذا بنفسه يأتي للقلب مشاعر الطمأنينة والفرح. وقدروا الآن مذنب قد أذنب ذنبًا عظيمًا ثم قرأ في القرآن: {قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنفُسِهِمْ لا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ}(1س) يكون الفرح والبشرى برحمة الله وأنّ هذا الطريق طريق للرضوان.

والذي يقرأ سورة التوبة ويرى هذه السورة كيف ورد فيها الكلام عن التوبة وكيف أن الله {تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُواْ}(2) وتفهم من ذلك أنّ من آثار اسم الله التواب أنه يُلقي في نفوس عباده الرغبة في التوبة ثم إذا رغبوا في التوبة رزقهم العزم على التوبة، فإذا تابوا قَبِلَ منهم التوبة فهذا يُسبب الفرح برحمة الله ورضوانه ويُسبب للإنسان الشعور أنه مقبل على كريم رحيم. {مَّا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ

---

(1) [سورة الزمر: 53]
(2) [سورة التوبة: 118]

إن شَكَرْتُمْ وَآمَنتُمْ}[1] ما يريد تعذيبك إنما يريد رحمتك وهو-سبحانه وتعالى-الغني عن عبادتك إن أقبلت أعطاك، وإن أدبرت ربّاك من أجل ألا تؤذي نفسك.

هذا كله يسبب الاستبشار، أن لنا ربًّا كريمًا قريبًا رحيمًا عظيمًا غنيًّا بيده ملكوت كل شيء، كل هذا يُسبِب لك الاستبشار عندما تسمعه، فأنت تستدعي لنفسك البشرى تقول لنفسك مهما عصت، مهما بعدت: أبشري ربك قريب مجيب وسميع وبصير، وأنت على فراشك ما حركت ساكنا إلا قلبك بالخوف من الذنب تحات ذنوبك كما يتحات الورق عن الشجرة في الخريف. هذه بشرى عظيمة أنه لا يضيع عند الله شيء أبدا، مثقال الذرة لا يضيع. فكل هذا يسبب البشرى في معاملته-سبحانه وتعالى-فعلى ذلك لو فهمنا هذا المعنى جيدا، سنجد أنفسنا عند كل آية سنبشِّر أنفسنا خصوصا عندما نقرأ في فصلت ونجد السورة تبتدئ بالخبر عن الكتاب العظيم ثم نسمع أنه نزل من الرحمن الرحيم {حم (1) تَنزِيلٌ مِّنَ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ}[2]، إذًا ستبشر نفسك أن الكتاب نزل من الرحمن الرحيم، سيتضمن الرحمة الواسعة وستصل من خلاله إلى رحمة الله، فمعنى ذلك لن تفتقد وأنت تقرأ في كتاب الله موقف تبشر نفسك به، وتستدعي البشرى فأبشر أنت تعامل رب كريم، رب رحيم، رب قريب.

هؤلاء الذين يغيظونك من أهل الكفر والإلحاد ويستهزؤون بدينك، ويقلِّلون من قيمتك، ويجعلون الحجاب والاستقامة شيء مرذول، نسمع في أواخر سورة المؤمنون: {إِنَّهُ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْ عِبَادِي يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ}[3]، ماذا فعلوا بهم! استهزؤوا بهم. فجاء اليوم الذين يعاقبون فيه حتى على استهزائهم بالمؤمنين، أي أن حقك سيستخرج كاملًا حتى الكلمات التي أسقطوها على أذنك، كلها ستجد أجرها وتجد عقابهم عليها. هذا كله يبشرك أن اثبت، لا شيء يضيع، حتى فعلهم باستهزائهم بدينك سيجدون أثره.

الأمثلة كثيرة، والأمر يحتاج أن يكون معنا مصحف نقرأ في كتاب الله ونستبشر بما يقول لنا ربنا وخلال دراستنا لفصلت نستبشر ويبقى نموذج وكتاب الله مليء بما تستبشر به.

من أعظم ما نُبشِّر نفسنا به: سورة الإخلاص

أنت تقول لنفسك والناس تائهين وخائفين وضائعين: {قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ}[4] أنا لي واحد، والواحد سيّد قد كمل في سؤدده، صمد كل الخلائق بدون استثناء تصمد إليه، كاملٌ في رحمته، كاملٌ في علمه، كاملٌ في غناه، كاملٌ في قدرته، كاملٌ في حلمه، كاملٌ في كل صفاته، حاجتك كلها إليه.

كم هذه بشرى! ما الذي ينقصك؟ الذي ينقصك أول ما تفزع، أن تفزع إليه، الخلق يُسخرون لي والأشياء تسخر لي، السبب هو أني أول ما أحتاج أفزع لواحد، والواحد أنا أثق فيه تمام الثقة وأعرف عنه أنه كامل الصفات. أليست هذه بشرى! في المقابل، هناك من يرجو هذا، ويذهب لهذا، ويروح عند هذا، وأنت حاجتك في ليلك ونهارك أول ما تشعر بها تفزع إليه، بشِّر نفسك بأن

(1) [سورة النساء: 147]

(2) [سورة فصلت: 1-2]

(3) [سورة المؤمنون: 109]

(4) [سورة الإخلاص: 1]

لك واحد قريب مجيب -سبحانه وتعالى- واحد لا يحوجك أبدًا لغيره ولا يجعلك ذليلًا عند باب أحدٍ من خلقه بل يحب منك أن توحّده في الطلب والرغبة والرجاء والخوف وتجعل مطامِعُك كلها له، هذه بشرى.

أما أن تذهب إلى الخلق الضعفاء الفقراء الذين يمارسون عليك أمراضهم مما يُعذِّب النفس ويُسبِّب لك الحزن ولكنه يحفظك ويحفظ ماء وجهك ولا يجعلك ذليلًا أبدًا، والذلّ والانكسار بين يديه شرف وفخر ورفعة. وكلما ازددت له انكسارًا وذلًّا، كلما زادك رفعة ومنزلة عند الخلق، هذا كله مما نبّشر أنفسنا به نسأل الله -عزّ وجلّ- أن نكون ممن وحَّد صدق التوحيد فذاق هذه البشرى وعاشها واستقامت نفسه؛ لأن كل الخير من عند رب الخير، لا شيء ينقص علينا، الذي ينقص يأتي به مالكه، والذي ينحبس غدًا ينفتح، والذي لا يأتي شرٌّ انصرف، والرزق الذي يأتي ونرضى به يكون سببًا للزيادة غدًا لو شكرنا فإن الشاكرين قد بُشّروا، قال تعالى: {لَئِن شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ}[1] كم هي بشارة! أبشر حين تقول: الحمد لله. سيزيدك الله، هذا كله لا بد أن يتحرك في داخل النفس من جهة أنك تجد في نفسك الشعور بنعمة الله، حرِك قلبك فتزداد به ثقةً ويقينًا وإيمانًا.

قال أبو السعود رحمه الله: (فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا) بزيادة العلم اليقيني الحاصل من التدبّر فيها، والوقوف على ما فيها من الحقائق، وانضمام إيمانهم بما فيها بإيمانهم السابق.

(وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ) بنزولها وبما فيه من المنافع الدينية والدنيوية.

"بزيادة العلم اليقيني الحاصل من التدبّر فيها" دلّتنا هذه الجملة كيف تحصل زيادة الإيمان وذلك بالتدبّر فيه، زيادة الإيمان هي العلم اليقيني الذي يأتينا من التدبر والوقوف على ما فيه من الحقائق، أنت لست جاريًا يجري، إنما أنت واقف عند كل حقيقة تتأملها وتفهمها وتبذل جهدك أن تعيشها.

"وانضمام إيمانهم بما فيها بإيمانهم السابق" أي أنه مؤمن إيمانًا إجماليًّا، مؤمن بالملائكة وبوجودهم، مؤمن أنها تعبد الله ولا تعصيه ثم يسمع في أوائل غافر أنها تستغفر للذين ءامنوا ثم ينضم هذا الإيمان لإيمانه السابق، وتقوى علاقته بالملائكة، ويقرأ أنها تتلقى المؤمنين وتفعل معهم كذا في دنياهم وفي أخراهم كما قال تعالى: {نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ}[2] فيبدأ ينضم لإيمانه الأول إيمان جديد، ويقين جديد، وثقة جديدة، ومعاملة جديدة للحقائق التي يسمعها وهذا كله بسبب التدبر فيها.

{وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ} "بنزولها" بالنسبة لنا التعلم، نستبشر في كل مرة نتعلم فيها.

نرى آية سورة الرعد {وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَفْرَحُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمِنَ الأَحْزَابِ مَن يُنكِرُ بَعْضَهُ قُلْ إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللّهَ وَلا أُشْرِكَ بِهِ إِلَيْهِ أَدْعُو وَإِلَيْهِ مَآبِ}[3] كيف أتت في كتاب الله بوضوح مسألة الاستبشار، من حال الذين أوتوا الكتاب {وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَفْرَحُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ} أي بما أُنزل على الرسول -صلى الله عليه وسلم- هل هذا كل أهل الكتاب؟ لا، قال تعالى: {وَمِنَ الأَحْزَابِ مَن يُنكِرُ بَعْضَهُ}. نحن الآن شأننا الذي فرح بما أنزل الله لأنه قد استبشر بنزول القرآن. في آية التوبة كان الكلام واضح عن المؤمنين، أما في سورة الرعد مثل عبد الله بن سلام -رضي الله عنه- من اليهود يعرف كتاب الله، يسمع آيات

(1) [سورة إبراهيم: 7]
(2) [سورة فصلت: 31]
(3) [سورة الرعد: 36]

تنزل من القرآن شرح الله صدره للإيمان ولم يعاند مثل اليهود، ماذا سيحصل له؟ يفرح بما أُنزِل على الرسول–صلى الله عليه وسلم– فلماذا يفرح بما أُنزِل على الرسول–صلى الله عليه وسلم–؟

قال القاسميّ رحمه الله: (وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَفْرَحُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ) لأنه يحصل لهم به من المعاني والدلائل وكشف الشبهات ما لم يحصل لهم من تلك الكتب السالفة.

نشبه هذا الحال بحال الكفار الأصليين ويأتي لهم أحد يقرأ عليهم القرآن وهم لديهم أشياء وأجزاء من الحقائق، يسمعون القرآن لو كانوا صادقين ويريدون الحق، سيفرحون أن الحقيقة اكتملت من الخبر القرآني.

وقال القاسمي: قيل عُني بهم الذين ءامنوا بالنبي–صلى الله عليه وسلم–من أهل الكتاب كعبد الله بن سلام–رضي الله عنه–.

نموذج الذين يفرحون عبد الله بن سلام–رضي الله عنه–، ما صورة الاستبشار والفرح في حقه؟ هو كان يعرف الكتاب ثم أتى من القرآن ما يُزيل الشبهة ويبين الأمر ويصرف الشك ويأتي بالحق.

ما علاقة هذا بالاستبشار الذي نتكلم عنه؟ أحيانا كثيرة أهل الإسلام بسبب اختلاطهم بغير أهل الإسلام أو بسبب اختلاطهم بمن تنكّر للإسلام يُلقون عليهم شبه، هو الآن متمسك بكتاب الله، محب لكتاب الله، لكن هذه الشبهة التي تأتي يصدُّها عن الإجمال يأتون يُلقون عليه شبه وغالب الشبه تدور في الأحكام، قد مر علينا هذا الكلام سابقا فهم يتركون العقائد الواضحة التي ليس فيها إشكال ويأتون إلى الأحكام الشرعية ويقولون لماذا تُقطع يد السارق، ولماذا تلبس المرأة بهذه الطريقة، وقد مر معنا إجابة إجمالية التي تقول: إذا عرفت الله وسلّمت لكمال حكمته، عليك أن تُسلِّم لشريعته، فهمت بالتفصيل أم لم تفهم هذا شأن آخر، شأنك أن تقول: آمنت بالله، الله حكيم، وأفعاله كلها حكمة، وشرعه كله حكمة، هذا بالإجمال. وفي كل مرة تتحرك في قلبه هذه الشبهة التي قالوها وهو يسكتها ويقول: أنا مؤمن ربنا حكيم، ويوفق هذا أن يقرأ كتاب الله ويفهمها فتأتي إزالة لشبهتهم، يفهمها ويأتي أحد يفهمه الآيات ويقرؤها في التفسير فتتبين بوضوح إزالة شبهتهم، فماذا سيحصل له! الفرح بإزالة الشبهة.

تكلمنا في البداية عن الفرح بالعلم، أكون جاهلة وأتعلَّم علم وأفرح بوجود العلم، وهنا الفرح بإزالة شبهة، تكون في نفسي قد أجِيب عليها إجمالًا وأسكتها ولا أبحث بالتفصيل، فأقول: أنا مؤمنة بربنا وقابلة لما شرع وحكم. ثم يحصل أن أتعلم القرآن ويرى الله من العبد صدقًا أنه يريد الحق فيعلمه شيء يكشف عنه الشبهة فتأتيه لذة من الفرح فقد زدت يقينًا بالتفصيل. ردّ الشبهة بالإجمال ولكن التفصيل له لذة لا يعدلها لذة، حين يجد أن الشبهة التي أقاموها عليه زالت بالقرآن. وهذا الأمر يحتاج منا ابتداءً صدق بأننا مسلِّمين لرب العالمين وأننا متيقنين أن ما شرعه وحكم به وأخبر به أن أخباره صدق وأحكامه عدل، فأنا أعرف ربنا وأعرف كماله والتفصيل ليس شأني ثم إذا صدق العبد وأقبل على القرآن فليبشر أن الله لن يبقي شبهته في نفسه أبدًا، إنما يقرأ في القرآن ما يزيل الشبهة فإذا زالت الشبهة يحصل الفرح {وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَفْرَحُونَ} هذه مشاعر لا يصفها إلا من عاشها، يحصل في النفس من الانشراح والانبساط والإحساس بالاستقرار لأن شبهة زالت بالحق.

الأصل في الشبهة ألا تتعرض لها، ولا تقل أنا متيقن وأجادل هؤلاء الملاحدة أو الصفوية، الشبهة بابها مغلق وإذا ابتليت بقريب ووقع في قلبك الشبهة، الجواب: اعرف الله بكمال صفاته وسلِّم له واصدق في هذا التسليم ثم اعلم أن الله لن يتركك وأقبل على القرآن ستجد الجواب ولكن لا تُقبل على القرآن كشخص يقول: جاوبني، وإنما إقبال شخص واثق من كلام الله، ويعلم أن الله لن يخذله. أحيانا الشبهة لا تُزال بعلم وإنما تُزال بأن الله ينسيك إياها وربما أزالها الله بعلم فإذا أُزيلت بعلم تأتي هذه المشاعر مشاعر الفرح.

وقال القاسمي: فإنهم يفرحون بما أُنزل من القرآن لما يرون فيه من الشواهد على أحقيته التي لا يبتلي فيه ومن المعارف والمزايا الباهرة التي لا تُحصى.

أهل الكتاب كانوا يفرحون بالكتاب وبنزوله لأنهم لما صدقوا وجدوا في القرآن ما يدفع شبهتهم. وأيضًا يفرحون لأن هناك شواهد كثيرة تدل على أنه حق، هؤلاء لديهم علم سابق فيجدون في القرآن ما يشهد على أنه حق، وأيضًا سيجدون في القرآن من المعارف والمزايا الباهرة التي تُسبِب اليقين أنه حق.

يُقصد من هذا كله من لديه علم سابق في مسألة، فمثلًا قاضي من أهل الكفر يعلم الأحكام الوضعية التي وضعوها الناس، فهو يفهم أن الحكم الوضعي الذي وضعوه في حكم السرقة وقد فشل وأتى وراءه سلبيات ثم غيروه ووجدوا له سلبيات أيضًا، لديه سابق علم وجاء صادق يريد الحق وهذا شرط مهم، عندما يقرأ القرآن ويجد الحكم فيه يفرح بما يجده في القرآن من حكم، السبب أنه ذا علم في هذه المسألة وصدق في إرادة الحق فيفرح بما في القرآن من الحق. فهناك شرطين:

1- أن يكون صادق في إرادة الحق.
2- أن يكون عنده علم في الباب الذي دخل فيه.

لن تشعر بهذه الأحكام التي أنزلها الله-سبحانه وتعالى-التي يشوشون بها علينا-كيف أنها من أعظم أدلة حكمة الله. فأنت بعيد عن القضاء والتحكيم بين الناس بعيد عن معرفة الدوافع النفسية للجرائم، هل تفرح كفرح من يعيش الأمر ويعرف الدوافع والأحكام! أبدا، أنت لك التسليم العام والتصديق العام ولذلك الفرح لأنه يعرف الحكم بالنسبة للحال. لذا كثير ممن أسلم لا يسلم إلا إذا كان صادقًا في إرادة الحق، أسلم من وجه أنه وجد في كتاب الله ما فَرِح به من العلوم وشَهِد أنه لا يكون هذا إلا من رب العالمين.

فهمنا أمرين:

1. الاستبشار والفرح يكون بعلم أتانا بعد جهل.
2. الاستبشار والفرح بالقرآن بعد شبهة زالت بالحق.

ونحن-الحمد الله-أقرب لنا الفرح الأول وهو الفرح الذي أتانا بعد زوال الجهل.

غدًا إن شاء الله في بداية كلامنا نتكلم عن الحالة الأخرى التي هي الغفلة، وكيف يفرح الإنسان عندما يكون عنده علم بشيء لكنه غفل عنه، يقرأ القرآن كأنه ما قرأه قبل ذلك!

لقاؤنا غدًا بأمر الله...سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا الله نستغفرك ونتوب إليك.

انتهى اللقاء الثاني بفضل الله...

اللقاء الثالث

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

نحمد الله –عزّ وجلّ– حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا، ونسأله بمنِّه وكرمه أن نكون ممن استبشر بالقرآن من يقينه بما ورد فيه، وخاصةً أن المؤمنين يتيقّنون أنّ هذا كلام ربّ العالمين، فمِن هذا اليقين يستبشرون بكل بُشرى بشّرهم الله –عزّ وجلّ– بها فيرون القرآن مكانًا للبشرى، وينظرون له متأمّلين متدبّرين حتى يصلوا إلى هذا المعنى العظيم في نفوسهم.

مرّت معنا خلال اليومين الماضيين المناقشة حول موضوع الاستبشار كما في سورة التوبة، وبقي علينا أن نرى من كلام المفسرين أيضًا معنى أدقّ من المعاني التي مرت معنا.

تأمّلوا جيدًا وفكّروا في سورة الملك كيف وُصف لنا شخصين، قال تعالى: {أَفَمَنْ يَمْشِي مُكِبًّا عَلَى وَجْهِهِ أَهْدَى أَمَّنْ يَمْشِي سَوِيًّا عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ}[(1)] كيف يمشي الإنسان على صراط مستقيم؟ كيف يكون حاله من الهدوء والاستقرار؟ كأنه يقال: إذا تابعت القرآن وآمنت به فاستبشر بكون اليقين موجود في قلبك، ثم استبشر بكل بُشرى بشرك الله بها.

وكنا أشرنا في ثنايا الكلام أننا إذا تدارسنا –إن شاء الله– سورة فصلت سنرى أن قومًا سيُردِيهم سوء ظنهم بربهم في النار، قال تعالى: {وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ}[(2)] فأهل الإيمان حسن ظنهم بربهم ينجيهم، حسن ظنهم بربهم له أثر، اليقين بكلام الله –عزّ وجلّ– يسبب للإنسان الاستقرار فيكون بنفسه بُشرى للعبد، ثم تفاصيل البشرى تسبب البُشرى.

إذًا معنى ذلك أن الاستبشار بالقرآن دار حول معنيين:

1–اليقين، عندما تجد نفسك متيقنًا بكل خبر ورد في القرآن، وعندك اليقين ولا يوجد عندك شكّ أبدًا فيه، هذا بنفسه يُسبب البشرى؛ لأن الذي يمشي مكبًّا على وجهه في شقاء، والذي يمشي سويًا على صراط مستقيم هذا في هناء، وهذا اليقين ما يُشترى بأموال الدنيا كلها؛ لأن الشّاك في جحيم، التائه هذا يشتهي الموت أكثر من شهوته للحياة؛ ولذلك هؤلاء يسكرون، ويدخلون في المخدرات، ويدخلون في الجرائم، ولا يستطيعون إشباع رغباتهم، لكن اليقين بنفسه يسبب الاستقرار، فأنت فرح بنفس اليقين.

2–الأمر الثاني: تستبشر بالتفاصيل التي في القرآن، فعندما تقرأ في القرآن قوله تعالى: {إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ}[(3)] تستبشر، وحين تقرأ في القرآن أنه –سبحانه وتعالى– يجعل لكل متقٍ فرجًا ومخرجًا...هذه التفاصيل تورثك الاستبشار.

سيأتينا الآن معنى ثالث للاستبشار...

قال تعالى: {فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ}[(4)] في الآية شقين:

الشق الأول: {فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا} خمس خطوات لكي يزداد الإنسان إيمانًا من آيات القرآن.

قال السعدي رحمه الله: {فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا}

(1) [سورة الملك: 22]
(2) [سورة فصلت: 23]
(3) [سورة البقرة: 153]
(4) [سورة التوبة: 124]

قال:

- ◊ بالعلم بها.
- ◊ وفهمها.
- ◊ واعتقادها.
- ◊ والعمل بها.
- ◊ والرغبة في فعل الخير.
- ◊ والانكفاف عن فعل الشر.

أول خطوة يقرؤها يتعلّمها يزيد إيمانًا، عندما فَهِمها عرفها وكل مرة يزداد فهمًا لها يزداد إيمانًا، ثم إذا فَهِمها تصبح عقيدة في نفسه. والاعتقادات ليست مثل الأعمال الظاهرية.

متى ستظهر هذه العقيدة؟ عندما يُناقش المسائل في نفسه، عندما يسمع آراء الناس ويفكر هو في الموقف فتظهر عقيدته، مادام أنك تتعلم القرآن فأنت مليء بالعقائد، لكنك لا تشعر بعقيدتك إلا حين تدخل في نقاشات فكرية مع الناس، فتكتشف ماذا تعتقد، مثلًا يأتي من يقول: لا مانع من الربا نوع من أنواع التجارة، عندما تسمع هذا الكلام تتفاجأ! مَن يُرابي هذا معناه أنه دخل في حرب مع الله! هذه عقيدتك بدليل أنك من أول ما سمعت هذا الكلام رفضته، ويمكن في أول الموقف ألا تستطيع أن تأتي بدليل في عقلك لكن في داخلك تشعر أن هذه جريمة، كيف يقبلونها؟! فالمؤمنون مع القرآن مليئين بالاعتقادات.

عندما يأتي أحد يقول لك: هل الله موجود؟ فتفاجأ من هذا السؤال وتقول: {أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ}[1] يمكن ألَّا يأتي الجواب على لسانك لكن استقر في وجدانك أن هذا أمر منكر وخطير وإن لم يجرِ على لسانك الجواب، هذا إذًا اعتقادك.

الاستنكار للأفكار الباطلة يدل على عقيدة في نفس الإنسان، الناس مختلفون في قدرتهم على الإفصاح عن عقيدتهم على حسب درجة علمهم وفصاحتهم، لكن ليس شرطًا أن تكون فصيحًا، بل يكفي أن يكون الأمر مستقر في داخلك، وكلَّما تعلمت كلَّما فَصُح لسانك بالعقيدة وعرفت كيف تعبر عنها.

أبناؤنا من 7 –10 سنوات يحملون عقيدة، انظري لهم حين تعلمينهم شيء وتفهمينهم ويأتي أحد يصدمهم بخلافه؛ مباشرة يخرجون ما بداخلهم؛ إذًا معناها أن أهل الإيمان بالقرآن يزدادون إيمانًا يتعلمون، يفهمون، يعتقدون. و"يعتقدون" هذه علينا أن نلاحظها ونزيدها ونمررها ونتعلم كيف نُمارسها.

نسأل الله أن يوفقنا لأن نتدارس ماذا نعتقد في ربنا وفي لقائه وماذا نعتقد في الملائكة.

وكلّما وجدنا في السورة التي ندرسها عقيدة نعرضها في أنفسنا ونكررها إلى أن نصل للعمل بها، أي عمل الجوارح وعمل القلب، فإذا سمعتِ خبرًا عن الله العظيم وأسمائه وصفاته قلبك يزداد محبة له، إذا سمعتِ عن لقائه قلبك يزداد شوقًا للقائه، هذه كلها تسمى أعمال القلوب.

---

(1) [سورة إبراهيم: 10]

وأمَّا قوله: "والرغبة في فعل الخير" أي زادهم رغبة في فعل الخير، عندما يجدون في كتاب الله–عزّ وجلّ–من حثٍّ على الخير، عندما يجدون في كتاب الله–عزّ وجلّ–من تحسين للخير، كيف يسمع الإنسان أنه يكلمه الله–عزّ وجلّ–عن العفو–كما سندرس في فصلت–، وكيف أنه {وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ}(1) فتأتي الآيات تحثُّه على العمل الصالح، تحثُّه على الخير، وأيضًا تأتي الآيات تكفُّهُ عن الشّر.

إذًا يزداد إيمانًا: بهذه المسائل الخمس (بالعلم بها، وفهمها، واعتقادها، والعمل بها، والرغبة في فعل الخير والانكفاف عن فعل الشر)

والإنسان كلَّما سار في هذه الخمسة كلَّما لاحظ زيادة الإيمان، هو سيلاحظ زيادة الإيمان ويلاحظ الخيرية التي تحصل في قلبه؛ لأن الرغبة في الخير والانكفاف عن فعل الشر، هذا إنما هو ناتج من الذي قبله، زيادة الإيمان التي هي الشقّ الأول في الآية.

الشق الثاني {وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ} معنى الاستبشار–الذي هو موضوعنا–

سبق أن اتفقنا على معنيين في معنى الاستبشار:

- الفعل نفسه، الانسان بنفسه يستبشر بالقرآن؛ لأنه متيقن به.
- ويستبشر بتفاصيل ما أتى في القرآن من بشرى.

وهنا معنى جديد، قال: "{وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ} أي: يبشر بعضهم بعضًا"، أي أنك يا مؤمن بنفسك تستبشر بوعود الله وتستبشر باليقين الذي وجد في قلبك، الآن يصل حدّ البشرى أنه (يبشر بعضهم بعضًا بما منّ الله عليهم من آياته، والتوفيق لفهمها والعمل بها).

إذًا من الاستبشار أن المؤمنين يجتمعون على القرآن، في الشق الأول هم يجتمعون على القرآن يتعلمونه يفهمونه يعتقدونه ثم يعملون به، ونتكلم عن الاجتماع لأنه كما تعلمون مُدح في سنَّة النبي–صلى الله عليه وسلم–الاجتماع لتدارس القرآن: ((مَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللَّهِ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَيَتَدَارَسُونَهُ بَيْنَهُمْ إِلَّا نَزَلَتْ عَلَيْهِمِ السَّكِينَةُ، وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ وَحَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ، وَذَكَرَهُمُ اللهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ))(2) هذه وعود من الله وفيها البشرى، فإذا اجتمعوا على كتاب الله وقرؤوه وفهموه واعتقدوه وعملوا به...سيبشر بعضهم بعضًا، فتنتقل البشرى من كونها حالة للإنسان لكونه يُبشر من يشاركه في العناية.

وهنا تظهر معنى الأخوة في الله، هذه الأخوة التي لا يكون فيها رابط إلا دين الله، تكون روابط الدنيا كلها مطروحة، وروابط الدين هي التي تربطهم وهي الظاهرة والواضحة، أما روابط الدنيا كلها فهي مطروحة في هذا النوع من العلاقات، بحيث أنهم يجلسون مجلسًا لا يعرفون فيه فوارق في الأنساب، ولا فوارق في الأموال والطبقات، والمستويات الاجتماعية، ولا فوارق في المستويات العلمية، تنطرح هذه الفوارق كلها ويبقى الجامع بين هؤلاء دين الله كتاب الله، فإذا فهموا كلام الله ترى في وجوههم البُشرى، هم مجتمعين فترى وجوههم تظهر عليها آثار البُشرى، وتراهم يُبشر بعضهم بعضًا:

إما بابتسامة الفهم أنهم فهموا.

أو بدمعة الاكتشاف عندما يكون شيء مرّ عليهم كثيرًا وما تبيّن لهم.

---

(1) [سورة فصلت: 35]

(2) رواه مسلم في صحيحه (كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن وعلى الذكر، 2699)

أو تجدهم يعبرون بكلام: (الحمد لله الذي علّمنا، الحمد لله أننا ما متنا ونحن لا نعرف هذه الآيات والعلوم من كتاب الله) فهذه البُشرى التي نجدها واقعية!

هذا الكلام الذي تسمعونه كلام واقعي في مجالس القرآن، نحن نعيش هذه المشاعر، إما ابتسامة الفرح هذه التي نتبادلها عندما نفهم شيء، وهذا من تبشير بعضنا لبعض أو هذه الكلمات التي تخرج من قلوبنا من حمد وشكر لله أن علّمنا...فبهذا تحصل البُشرى.

بالإضافة إلى أنه لو تعلَّم هذا ويأتي هذا يُعلم هذا ويُبشره بالمعاني التي فهمها، ويزيد هذا هذا فهمًا، ويزيد هذا هذا علمًا، فتكون المجالس التي يجتمع فيها الناس في القرآن ((يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَيَتَدَارَسُونَهُ)) وهنا في الآيات ماذا أيضًا؟ ويستبشرون جميعًا، ويبشر بعضهم بعضًا بما وجدوا في كتاب الله من وعد.

قال: {وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ} **"يبشر بعضهم بعض بما منّ الله عليهم من آياته"** أي ماذا يعتقدون؟ أن هذا الفهم الذي فهموه عبارة عن مِنّة الله وحده الذي امتنَّ بهذا الفهم عليهم، وأنه–سبحانه وتعالى–وفّقهم، أي يقول: (بما منّ الله عليهم من آياته والتوفيق لفهمها والعمل بها)، فيرون أن الكتاب بنفسه منّة، أن الله–عزّ وجلّ–امتنّ علينا بأن نكون من أهل الكتاب، ثم يبشر بعضهم بعضًا فيقولون: أنت صاحب اللغة، أنت صاحب اللسان، أنت عربي يسير عليك أن تفهم كلام الله والله أنزله {بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ}(1)

فأبشر أنك ستفهم كلام الله

وأبشر أن الله–عزّ وجلّ–سيعينك إذا أقبلت.

وأبشر أنه سيشرح صدرك له إذا صدقت.

وأبشر أنه سيجعله عقيدة في قلبك إذا فرّغت قلبك من الباطل.

وأبشر بهذه المنّة أنها ستتحول من كلام تقرؤه إلى حياة تعيشها.

أبشر بالخير الكثير بعد أن تعرف كلام الله.

وهذا يقوله السابق للاحق، حين تُرغِّبي أحد أن يأتي ويتعلم تقولين له: (أنت لو سرت هذا الطريق أبشر بحياة مختلفة تمامًا، تمرّ بنفس الظروف بنفس المواقف بنفس الأحداث وأبناؤك وإن كانوا مثل ما هم ولم يتغيروا وزوجتك مثل ما هي لا تتغير لكن أنت تتغير وأبشر أنك ستقرأ الدنيا بطريقة مختلفة، وأبشر أنك ستمرّ عليك نفس الأحداث، لكن لن يكون لك نفس ردود الأفعال إنما ستقرأ القرآن، وسيكون في قلبك هذا القرآن وستفعل ما يرضى الله وسترى كل الحياة معبر سريع يوصلك إلى رب العالمين) فهذا كله من تبشير بعضهم لبعض، في مجالس العلم يبشر بعضهم بعضًا، والذي في خارج المجلس يبشره الذي في الداخل.

مثلا يأتي أحد يبحث عن مسألة ضاق عليه فهمها، فيأتي يقول: (أبشر فهمنا الآية، أبشر وجدنا من كلام العلماء ما يدل عليه، أبشر جاءتنا فتوى في المسألة) فيكون هذا معنى زائدًا عن الاستبشار: الذي يكون باليقين، والذي يكون ببشارات القرآن، فيكون معنى زائدًا عن ذلك في كون بعضهم يبشر بعض، يبشرون بعضهم بمنّة الله بالقرآن وأيضًا بالتوفيق

(1) [سورة الشعراء: 195]

لفهمه، فيعرفون أن القرآن نفسه منَّة، وأن الله-عزّ وجلّ-وفّقهم والتوفيق من عنده، فأبشر بمنَّة الله، وأبشر بتوفيقه (التوفيق للفهم والعمل به).

قال: (وهذا دال على انشراح صدورهم لآيات الله، وطمأنينة قلوبهم، وسرعة انقيادهم لما تحثهم عليه).

إذًا سنلاحظ أن هؤلاء الذين سيستبشرون ويبشرون غيرهم ما حالهم مع كتاب الله؟ منشرحة صدورهم بكتاب الله، ويقع في قلوبهم طمأنينة كلما سمعوا كلام الله؛ لأنهم يفهمون ويتعلمون ويتيقنون ويعرفون الله ويعرفون معاني كلام الله، فلا بد أن تحصل في قلوبهم طمأنينة بذكره وذكر كلامه-سبحانه وتعالى-ومن ثم تحصل عندهم سرعة انقياد لما تحثُّهم.

إذًا استقر عندنا الأمر في البشارة على ثلاثة أمور:

1. الاستبشار باليقين الحاصل في قلوبهم من كتاب الله.
2. يستبشرون بما بشرهم الله به في كتابه.
3. يبشر بعضهم بعض بمنَّة الله وتوفيق الله ولفهم كتاب الله وللعمل به.

الحمد لله انتهينا من المعنى العام لـ {يستبشرون}.

صور من تبشير الله تعالى ورسوله-صلى الله عليه وسلم-للمؤمنين في كتابه:

1. {فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ}(1) (التقوى سبب للاستبشار):

هذا خطاب للرسول-صلى الله عليه وسلم-عن هذا الكتاب العظيم {فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ} لأي شيء؟ {لِتُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ}، أي أن الله يسَّر القرآن على لسان رسوله-صلى الله عليه وسلم-والناس تقبلوه بهذا اليسر، لتكون نتيجة اليُسر: البُشرى للمتقين.

مسألة اليُسر بنفسها تحتاج إلى كثير من التفكير، ورد هنا وفي أماكن كثيرة في كتاب الله الخبر عن أن هذا الكتاب يسَّره الله، ولو لم ييسره الله لما أمكنك أن تنطق به بلسانك؛ لأنك تعرف أن هذا كلام الله، تكلم به الله، عندما تكلم به الله، ملائكة السماء وقع عليها من الغشي ما وقع، وكان أول من رفع رأسه جبريل-عليه السلام-ولذا من الأمور التي نستبشر بها: أن القرآن نزل بلسان عربي مبين، ولا يفهم هذا الأمر إلا من عرف أسرار هذا اللسان، وعرف أن كلمة من هذا اللسان تحوي معاني عظيمة إذا فهمها الإنسان، تأتي الكلمة الواحدة فتُعلمه العلم، وتُصلح له المشاعر، وتُهذب له السلوك.

من الأمثلة التي فيها بشرى: وصف الله-عزّ وجلّ-في كتابه في سورة الحج قوم سماهم المُخبتين، قال تعالى: {وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ}(2) ومن عرف اللسان العربي سيعرف أن هذه الكلمة وحدها:

- ستصف لك علمًا من جهة.
- وستوصلك إلى مشاعر من جهة أخرى، وغير ذلك من الأمور.

(1) [سورة مريم: 97]
(2) [سورة الحج: 34]

{الْمُخْبِتِينَ} من هم؟ هؤلاء قوم أُمِرَ النبي-صلى الله عليه وسلم-بتبشيرهم {وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ}، ثم عندما تبحث في معنى {الْمُخْبِتِينَ} وتعرف معنى الإخبات وتعرف أن "الخَبْتُ" يوصف به الجزء المنخفض من الأرض، هي الأرض السهلة المنخفضة الذليلة غير المرتفعة، التي لا يصعب أبدًا ارتقاؤها بل بسهولة يحصل السير عليها.

يشبه هذا آية سورة الفرقان في وصف عباد الرحمن {الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا}(1)، تعرف أن المُخْبت لا يصبح مُخبتًا إلا إذا كان تام الذل يسير في المعاملة بعيد عن الكبر، سهل في معاملة الخلق ذليل لربهم، ما يتكبر عليهم.. أوصاف كثيرة تأتيك من وراء هذه الكلمة. فهذا التيسير بنفسه يستحق منا استبشار، تجد تحت كلمات يسيرة معاني عظيمة وتجد وراء كلمات يسيرة، مشاعر تستطيع أن تعقدها وتربطها، فأنت بكلمات القرآن:

إنسان سويّ فكريًا.

وسويّ نفسيًا.

وسويّ شعوريًا.

وسويّ في معاملتك مع نفسك ومعاملتك مع الخلق.

وهذا بنفسه بُشرى!

ستقرأ في القرآن ما يجعلك سويًا، شخصيتك سوية، معاملتك مع الخلق سوية، لا أنت الفظّ الغليظ، ولا أنت الذي يُداس عليه، إنما أنت ذاك العبد الذي عِزّةُ بربّه وذلّه لربه، ليّن على المؤمنين، شديد على الكافرين، يضع الأمور في مواضعها. كل هذا من وراء تيسير الله للقرآن، فهذا بنفسه بُشرى، ونحن نعرف أن أكثر شيء اليوم-وكل يوم-أن الناس في عاصفةٍ منه وفي معركةٍ فيه: الأفكار.

مَنْ أفكاره سوية، مَنْ نظرته للحياة صحيحة، مَنْ سائر على هدى، مَنْ ضائع وتائه، هذا أكثر شيء في حياة الناس حتى الذي معه مال، والذي ليس معه مال، المال ليس سبب للإسعاد ولا سبب للتعاسة والشقاء، كيف تفكر فيه؟ كيف تنظر إليه؟ فترجع كل الأمور إلى فكرك وعقلك ونظرتك للحياة وهذا كله يهذّبه ما تقرأه في كتاب الله.

يسّر الله هذا القرآن بشرى لهؤلاء المتقين، لم المتقين خاصة يستبشروا بالقرآن؟ لأنهم سيعلمون أن كل أمر حُذروا منه فهو سبب لشقائهم، وكل أمر أُمروا به سبب لسعادتهم، فهم يتقون الشقاء ويسعدون بالأوامر، ويستبشرون بأن منهجًا واضحًا أتاهم، ما يحتاج أن يتوهوا ولا يجربوا ولا يضيعوا ولا يمضي عليهم من الحياة زمنًا يقاسوا فيه الآلام، فهؤلاء المتقين الذين يريدون أن يتقوا السخط، يريدون أن يتقوا الشقاء، ويريدون أن يستقيموا ويكونوا على سعادة، لا يريدون أن تمر عليهم سنين من حياتهم وقد أساؤوا إلى أنفسهم، يريدون أن يتقون الشقاء ويكونوا سعداء، سيستبشرون بمنهج تام الوضوح.

وأنت الآن فكر في هذا عندما يأتي أحد صاحب خبرة من الخلق-هذا مثل يلائم الخلق-يقول له: تعال أنا سأوفر عليك عشرين سنة من حياتك وسأعطيك ما يجعلك ناجحًا في دراستك ناجحًا في عملك ناجحًا في كذا...ألا يفرح الناس بمثل هذا؟! يفرحون؛ لأنه يوفر عليهم أمر طويل وحياة وشقاء وأخطاء، فلما يقال لك: بل سيأتيك في القرآن ما يجعلك في حالة من السعادة هنا في الدنيا وعندما تلقى ربك، فهذا سيكون بُشرى لأهل التقوى أنهم-الحمد لله-سيستقيم شأنهم في الدنيا ومثله سيستقيم شأنهم حين يلقون ربهم.

---

(1) [سورة الفرقان: 63]

هذا لمن عرف سبب وجوده، لكن من لا يعرف لماذا هو موجود يبقى نهمًا للذات، للهوى، لمتابعة ما يريد، ثم يأتي لنقطة الصفر فما يجد للحياة معنى ويدخل في اكتئاب أو انتحار أو مخدرات أو في كذا وكذا مما نراه ونسمعه ونعيشه، وليس سرًا هذا الشيء حولنا تام الوضوح أن الناس ينجحون على أكتاف الآخرين، ينجحون بإساءة أدب، ينجحون ثم يصلون إلى حد معين في الحياة فيدخلون في الاكتئاب، يدخلون في انكسار بعد النجاح والسبب أن الحياة تصبح شقية حتى لو كان عند الخلق أنه إنسان ناجح، لكن ليس هذا النجاح هو الذي يشرح الصدر ويستبشر به الإنسان إنما الذي يستبشر به الإنسان أن يبقى مستقيمًا في حاله.

مثل هذه البشرى في سورة النحل {وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ}(1) ، هذا نفس المعنى أن هذا الكتاب العظيم نزل فيه تبيان كل شيء، نزل القرآن تبيانًا لكل شيء تحتاجه، فتأتي البُشرى بهذا الذي تحتاجه، ولاحظوا هنا في سورة النحل بشرى لمن؟

{لِلْمُسْلِمِينَ} الذين استسلموا، يعني ما تكون بشرى إلا لمن استسلم ورأى أنه محتاج لمن يقوده، {لِلْمُسْلِمِينَ} بمعنى المستسلمين، وافهموا أن هذا العبد المسلم لا يأتي يقول: (أنا عندي فكر، عندي عقل، أنا فهيم، اتركوني أجرب!) يقال له أنا جربت لا تخطئ نفس الأخطاء فيأتي السَّفيه-الله يهدي أبناءنا جميعًا-ويقول: (أنت جربت اتركيني أنا أجرب أيضًا!)، غدًا ستتذكر هذه المواقف التي فعلتها وتتمنى لو أنك مت ولم تكن تفعلها.

فلما لا يستجيب لكلامك لا يقع عنده بمعنى البُشرى، لكن المستسلم الذي يراك أهلًا أن تقوديه وترشديه، عندما تقولين له: (أنا سأقول لك كلام يوفر عليك سنين عمرك وأخطاء وأفعال..) ماذا يحصل له؟ يستبشر أنك ستبينين له كل شيء وما يتوه وما يحتاج إلى أن يدفع ثمنًا لأخطائه، فإذن لازم تكون هناك صفات معينة للشخص من أجل أن يستبشر بالقرآن:

من آية مريم عرفنا أن صفته: تقيّ.

ومن آية النحل عرفنا أنه: مسلم.

وهذه الصفات كلها هي التي تسبب للإنسان الاستبشار بأحكام القرآن، وهدى القرآن.

في سورة النمل أيضًا الله-عزّ وجلّ-أخبر أن هذا القرآن {طس ۚ تِلْكَ آيَاتُ الْقُرْآنِ وَكِتَابٍ مُّبِينٍ. هُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ}(2) صفتهم مؤمنين، كيف ستكون بُشرى للمؤمنين؟ هي بشرى للمتقين، هي بشرى للمسلمين، هي بشرى للمؤمنين.

ما أثر الإيمان على الاستبشار بالقرآن؟ المؤمن الذي يرى أن هذا منهج من رب العالمين الحكيم العليم الرحمن الرحيم، المؤمن بهذا الصفات مؤمن بصفات الله، إذا آمن بصفات الله وأتى القرآن يقول له: "افعل، ولا تفعل"، يستبشر أنه إذا عامل زوجه القرآن يحكم له، وإذا عامل الخلق القرآن يحكم له، وإذا اشترى بيت القرآن يحكم له، وإذا أصبح في الصباح القرآن يحكم له، وإذا أمسى المساء القرآن يحكم له، وإذا غابت الشمس القرآن يحكم له.

فيجد نفسه كل شيء واضح تمامًا ما في ضبابية، ولا في أحد يغشه، ولا أحد يخبره أخبارًا غير صحيحة، لكن تصوري طفل يتربى على هذه الأفلام التي يرونها-أفلام كرتون وغيرها-ثم يسمع أحدهم يسأل الآخر-في فيلم الكرتون-: "من هؤلاء

(1) [سورة النحل: 89]
(2) [سورة النمل: 1-2]

الذين في السماء؟"–على النجوم–فيقول له: "هؤلاء أجدادنا العظماء!" فيكبر على أن هؤلاء الذين في السماء أجداده العظماء، يكلم الشجرة، يكلم كُرته أنها تفعل وتفعل وبعدها يكبر يكتشف أن هذا خداع وكذب وتلاعب على الذهن!

وهناك من يستطيع أن يخرج من ذلك وهناك من لا يستطيع أن يخرج من ذلك، فيخرج من خديعة إلى خديعة.. كل هذا الذي يحصل في تربية الأبناء عبارة عن تشويه لاستعدادهم الفطري لاستقبال ما حكم به القرآن، لكن المؤمن الذي يعرف أن هذا الكلام نزل من عند رب العالمين:

فيه أوصاف، فيه الحقائق التامة من جهة الأخبار، والأحكام الكاملة من جهة الأحكام، مؤمن أن الذي أنزله هو الذي يعلم السِّر والنّجوى، إذا آمن بذلك سيستبشر بأي حكم يأتي، ويقول: ما يأتي من وراء أحكام ربنا إلا الخير، فيسلِّم ويتقي ويكون مؤمنًا فتحصل له البشرى، حتى آية البقرة فيها بشرى للمؤمنين، وآية النحل أيضا تكرر فيها بشرى للمسلمين.

سنأتي نرى أصناف المبشَّرين في كتاب الله، وهذا نوع أيضًا من النظر لآيات البشرى في كتاب الله، أتت البشرى بشر بها المؤمنون كما في هذه الآيات التي نقرؤها مثلًا في قوله تعالى–سنختار بعض الآيات حتى نستطيع أن نمرّ على كل المفاهيم–في سورة التوبة: {التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ الْآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ ۗ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ}(1) بماذا؟ محذوف ما يبشَّر به، بشرهم بكل خير سواءً كان في الدنيا أو في الآخرة، سواء كان هذا في أنفسهم أو في حياتهم أو في مسلكهم أو في علاقاتهم.

مادام أنهم مؤمنين فليبشروا:

ما في ضيق إلا وراءه سعة.

ما في درس يتأدبون فيه إلا وراءه خير.

ما في نقص إلا وراءه كمال.

فبشر المؤمنين أن حياتهم ستطيب ما دام أن معهم الإيمان، فإن ما ينزل عليهم من بلاء سيرفعهم، وما ينزل عليهم من نعمة سيرفعهم، وما يعيشونه من ضيق سيأتي وراءه فرج، وما يعيشونه من سعة سيزيده الله بالشكر والحمد.

فبشرهم بطيب الحياة، وطيب الممات، وطيب البعث، ثم أطيب الطيب أن يكونوا في جنات النعيم، وأن يلقوا رب العالمين وهو راضٍ عنهم، فبشر المؤمنين وهذا معناه: أن البشرى لهم، مادام معهم إيمان إذًا بشرهم بكل خير.

وتبقى الآيات في كتاب الله تبشر المؤمنين، منها آية سورة يونس وهكذا، كنا اتفقنا في أول الكلام أن هذه الآيات ما تحتمل منا مجرد أن نمرّ عليها، تحتاج منّا أن نلحظ البشرى حين نأتي في وردنا الذي نقرؤه، ولماذا أتت في هذا السياق؟ ولماذا في هذه القصة؟ ولماذا في هذا المعنى؟ لماذا {وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ} في سورة يونس؟، هذا الموقف موقف شديد، كانوا فيه قوم موسى بعدما أتى موسى–عليه السلام–إلى فرعون وحصل معه ما حصل ولم يؤذن لموسى بعد بالخروج من مصر،

فكان من شأن فرعون أنه أراد مرة أخرى تقتيلهم فأمرهم الله–عزّ وجلّ–بهذه الأوامر: {وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَن تَبَوَّآ لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا} أي يبقى في مصر {وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ ۗ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ}(2) طيب هم في موقف

---

(1) [سورة التوبة: 112]

(2) [سورة يونس: 87]

خوف لازالوا تحت سلطته وقد توعدهم مرة أخرى بالقتل، فيقال لموسى-عليه السلام-: {وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ} وهم في أخوف الخوف {وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ}!

فكل آية من هذه الآيات تحتاج منّا إلى كثير تأمل لسياقها؛ لأننا نأتي اليوم والأحداث التي في رمضان حصلت، والأحداث هنا وهنا، وهذا الضجيج الذي نعيشه ثم نقول: "استبشروا"؟!

نعم، في قلب الأزمة يكون المؤمن مُستبشر أن الليل سينجلي سينتهي وسيأتي النّهار ولا بد، وعندما تقرأ تبشير المؤمنين تفهم هذا، أن النبي-صلى الله عليه وسلم-يكون في مكة ويكون محبوسًا وفي أضيق حال لا يجدون ما يأكلونه وهو-صلى الله عليه وسلم-يبشرهم بأي شيء؟ هل يبشرهم بالفرج فقط؟!! يبشرهم بمُلك كسرى وقيصر وهم في أضيق الحال، لكن لأنهم مؤمنين يدخل السرور إلى قلوبهم؛ لأنهم مؤمنين مصدقين، ويعرفون أنه ما قاله من تلقاء نفسه، وأن رب العالمين الذي يملك الملك هو الذي أوحى إليه أن يبشرهم، فيستبشرون وهكذا نرجو أن نكون ممن يصدِّق ويتيقّن في أضيق الضيق، أن هذا الضيق ما تم ضيقه إلا أن الفرج وراءه، والملك ملك الله فإذا بشّرنا استبشرنا وتيقنًّا وكانت هذه عقيدتنا، وسنعيد على أنفسنا هذا المعنى تبقى هذه عقيدتنا سواء كنا من القوم الذين يعيشون النصرة والفرج ورفعة الإسلام أو كنا لسنا أولئك القوم.

على هذا المعنى نقول: أهم شيء أن يَحْسُن اعتقادك وتلقى الله وأنت متيقن بالله، أهم شيء أنك لا تلقى الله وفي قلبك شيء من الشكّ في تبشيره للمؤمنين.

مثله آية الصف قال الله-عزّ وجلّ-: {وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا ۖ نَصْرٌ مِّنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ ۗ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ}(1) آية الفتح واضح موضوعها صُلح الحديبية وكيف كانت في أحداث وهم مردودين الآن عن مكة، ولما كتبوا المعاهدة-كما تعرفون-كان الحال أنهم كأنهم هم الأذلين لكن الحقيقة في هذه الحال الله-عزّ وجلّ-يبشرهم: {وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا ۖ نَصْرٌ مِّنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ ۗ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ} بشرهم بكل خير وإن كانوا في أضيق الضيق.

أؤكد عليكم أن هذه الآيات نحن نمر عليها الآن حتى نعرف كم أتت البشرى، لكن هذا ليس فهمًا لها هذا فقط حتى نعرف كم بشر الله المؤمنين، فيبقى علينا أن نفهم كل آية وردت فيها البشرى وكيف كانت حالتها التي وردت فيها البشرى، وإذا فهمناها يبدأ هذا المعنى يستقر في نفوسنا ونشعر به أنه مع الضيق، مع الشدة...لازالت البشرى موجودة، ونستبشر ونبشِّر غيرنا، ونمتنع عن هذا الذي يسبب ضيقًا في النفوس: من الشعور أن الدين يذهب، مظاهره تذهب ويبقى الناس ينقلون أحوال أن الشباب لا يفعلون وأن الشباب يقعون...لا لا، نترك هذا الكلام ونستبشر بما بشرنا به الله-عزّ وجلّ-بعد أن نفهم هذه الآيات.

سنرى صنفًا آخر من المبشرين الآن، ممن بشر في كتاب الله بعدما بُشر المؤمنون في آيات كثيرة بشر المخبتون كما مرت معنا الآية في سورة الحج {وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ. الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَالصَّابِرِينَ عَلَىٰ مَا أَصَابَهُمْ وَالْمُقِيمِي الصَّلَاةِ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ} يعني مَنْ فيه هذه الصفات فليبشر، إذا كان مخبتًا فليبشر بأن الله سيفرج عليه، ويبشر بأن الله سيكشف الغُمَّة، حينما نفهم سورة الحج ونفهم الآيات التي فيها نفهم لماذا هؤلاء المخبتين يُبَشَّرون خصوصًا {وَالصَّابِرِينَ عَلَىٰ مَا أَصَابَهُمْ وَالْمُقِيمِي الصَّلَاةِ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ}، فحين يكون الإنسان في أزمة مُستقيم على دين الله فليبشر أن

---

(1) [سورة الصف: 13]

ضيقه هذا لا بد أن يلحقه فرجًا، وليبتعد عن أن أي سبب يسبب له الضيق ويأس من روح الله بل يصبر على الضيق، وليعلم أن وراءه–بأمر الله–فرجًا قريبًا فيكون من المخبتين.

أيضا ممن يبشرون الصابرون {وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ * الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ}(1)

أيضًا بشِّر المحسنين في كتاب الله {وَبَشِّرِ الْمُحْسِنِينَ}(2)

الحمد لله عرفنا أن في كتاب الله البشرى تأتي:

للمؤمنين وللمخبتين وللصابرين وللمحسنين

وهذه كلها مراتب وأحوال للمؤمنين إما بالاسم العام، وإما بحالة خاصة: الاخبات أو الصبر أو الإحسان، فمتى كنت صابرًا كنت من المبشرين، متى كنت مخبتًا كنت من المبشرين، متى كنت محسنًا كنت من المبشرين، ومادام أنك مؤمن إذن أنت من المبشرين، الحمد لله رب العالمين.

أنواع البشارات في القرآن والسنة

سنرى الآن أنواع البشارات في القرآن والسنة، سنتكلم عن القرآن لن نتكلم عن السنة ولا زلنا نتفق نفس الاتفاق نحن فقط سنمر على عناوين فنفهم الإجمال ويبقى عليكم التفصيل.

- مما بشر به المؤمنين البشارة بالنصر والتمكين في قوله تعالى في سورة النور {وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ} ماذا سيفعل لهم؟ لا بد أن يحصل لهم الاستخلاف وسيحصل الاستخلاف في الأرض مادام أتوا بالصفتين:

{آمَنُوا}

و {وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ}

{لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا}(3) كأنه يقال: انظر أنت كيف حصل الاستخلاف للذين من قبلك، وكيف فرعون تجبَّر على بني إسرائيل فرفعهم الله، وكيف قوم صالح فعلوا في صالح، وكيف قوم إبراهيم فعلوا في إبراهيم، وقوم لوط وقوم نوح، انظر لهم كلهم واعلم أنه لابد أن يكون هذه السيادة لأهل الإيمان لكن بعد الخروج من الاختبار.

سيستخلفهم مادام آمنوا وعملوا الصالحات كما استخلف الذين من قبلهم، ليس فقط سيستخلفهم إنما سيمكن لهم، وهذا الملك ملك الله يؤتيه من يشاء وأنتم ترون الناس يتنازعون في الملك ثم الله يجعله عند من شاء {وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ} يعني هم وغيرهم ممكن أن يكونوا متمكنين، لكن الله سيمكن لهؤلاء الدين الذي ارتضى لهم.

إذن هذه من البشارة للمؤمنين وهذه نبتدئ بها؛ لأن الناس اليوم يظنون أن هذا الدين يمكن مع هذا الضعف الذي يعيشه المسلمين يتلاشى ويذهب... أبدًا، إذا أتى الإيمان والعمل الصالح وأتى الجيل الذي يجعل الإيمان والعمل الصالح هو

---

(1) [سورة البقرة: 156]
(2) [سورة الحج: 37]
(3) [سورة النور: 55]

مقصودة، ويرى بعينيه الآخرة قبل الدنيا هؤلاء سيكون هذه حالهم وسيبدلهم الله من بعد خوفهم أمنًا، وسيكون التوحيد حالهم؛ لأنهم سيعبدون الله لا يشركون به شيئًا.

أيضا من البشارات التي أتت في كتاب الله:

- البشارة أن مع العسر يسرًا وبعد الشدة فرجًا، وهذا يكون للناس عمومًا في أحوالهم الخاصة أو في الأحوال العامة من ذلك: قوله تعالى {فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا (5) إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا}(1)

هذا من أشهر ما يُسمع في هذه البشارة أنت تكون على يقين أن رب العالمين الذي يدبر الأمور سيجعل مع العسر يسرًا، وكُررت الآية.

وهنا توجد لطيفة معروفة، في كون أن العسر–الذي أتى بالألف واللام المعرفة–واحد {فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا (5) إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا } العسر واحد في الآيتين.

مثلًا: ضلال ابن بَعُد عن الاستقامة، هذا العسر الذي تتناقش فيه العائلة معه يسر {فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا}، مع العسر هذا الذي نحن فيه يسر.

ثم يعاد عليك مرة أخرى {إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ}–هذا الذي تعيشه–{يُسْرًا}، فيصبح العسر له يسران، سيأتي له يسران.

وعندما تسمع هذا لا تمرره هكذا كأن الذي يكلمك صاحبك، الذي يكلمك بهذا الكلام هو الملك الذي بيده كل شيء، فعندما يقول لك: العسر الذي تعيشه سيجعل الله له يسر، ويعيد عليك فيقول لك: العسر الذي تعيشه سيجعل الله له يسر، يجب أن تكون على يقين، فمثل هذه يجب أن نبشر بها أنفسنا–وكما اتفقنا في كلام الشيخ السعدي–ونبشر بها غيرنا.

نحن في الإيمان أهل خير في أنفسنا وأهل خير وبركة على من يجالسنا، فإذا اشتكت لك أم من ضلال ابنها أو ضيق حال أو حال للزوج...فحالنا أن نقول لها: {فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا (5) إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا} نحن على يقين، اليقين الذي في قلبك هو الذي سيكون طعم الكلام الذي تقولينه، سيكون رائحة الكلام الذي تقولينه، ستشمّ رائحة اليقين قبل أن تسمع الكلام في أذنها؛ لأنك أنت تحملين هذا الأمر وأتيتِ تبشرينها، فإذا صدقتِ في اليقين وقع في قلبها.

واعلموا أن الصادق في التبشير صدقه هذا يجعل البُشرى كالسهم المُطبَّب فيه الطبّ، يُلقى في قلب من يسمع فيسري في قلبه انشراح الصدر، فتجلس معك تكونين بركة عليها، لا تزيدي الأمور سوداوية ولا تزيدي الأمور ضيقًا، {فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا (5) إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا}، والملك الذي يملك كل شيء هو الذي يقول لنا: {إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا}.

- أيضًا من البشارات التي في كتاب الله–عزّ وجلّ–وتعمّ كل المؤمنين: البشارة بالمغفرة للمؤمنين.

وهذا الباب نفكر فيه من جهة أن الشياطين دورها مع المؤمنين تيئيسهم من رب العالمين، فالمنحرفين البعيدين أحد أهم أسباب انحرافهم أنهم شعروا باليأس، كيف يرجعون لربنا بعدما فوتوا كل هذه الفرص، ومن أكثر الكلمات المزعجة التي تسمعينها في هذا الباب–وربما غالبًا أنهم لا يقصدون–لكنهم يأتون يقولون لك: انتهى أمرنا، أكيد سنعذب فلنبقى فيما نحن فيه! أو يقولون لك: نحن في النار أكيدا! فهذه الكلمات لا تخرج إلا من اليائس.

(1) [سورة الضحى: 5-6]

ولا يوجد عبد مؤمن يصلح حاله مع ربه عندما ييأس من رحمته، بل النبي-صلى الله عليه وسلم-النبي الكريم الذي تفطَّرت قدماه من القيام، وكان حاله الصيام، وبقي لسانه رطبًا بذكر الله، وينزل عليه الوحي وتحصل له هذه الكرامات العظيمة، يخبر أصحابه أن دخول الجنة إنما هو برحمة الله فيبقى الإنسان طامعًا في الرحمة، طريق الرحمة أن يغفر الله للعبد، والله-عزّ وجلّ-يبشر المؤمنين بالمغفرة ولذا في سورة يس، الله-عزّ وجلّ-يقول: {إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ وَخَشِيَ الرَّحْمَٰنَ بِالْغَيْبِ ۖ فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ}[1]، بشِّره أن الله يغفر له، فقط أقبل على الله واتبع ما أمرك الله به وسترى كيف يمحو الله-عزّ وجلّ-عنك ما مضى من الذنوب، ابتدئ مع الله ولا تيأس ولا تجعل الماضي يمنعك عن باب الله أبدًا، مهما كان الماضي مهما كان طوله ومهما كانت الأعمال التي يعملها الإنسان، وفي الحديث-كما تعرفون-أن الرجل أتى للنبي-صلى الله عليه وسلم-وقد سقط حاجبيه من كبر سنه وهو يتكئ على عصاه، وقال للنبي-صلى الله عليه وسلم-إنه لم يترك شيء من الذنوب إلا فعله، وبعد هذا السن كله يقول: اغفر لي يا رب؟! فبشره النبي-صلى الله عليه وسلم-بالمغفرة وأنه إذا شهد أنه لا إله إلا الله وأن محمد رسول الله غفر ذنبه مهما كان[2] فلا تفكري في العمر ولا في الماضي ولا في تفاصيل الحياة الماضية، فقط أقبلي على الله، {إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ وَخَشِيَ الرَّحْمَٰنَ بِالْغَيْبِ}.

إذا كنت خائفًا ليس الحل أن تهرب من باب الله، الحل أن تُقبل على الله مهما كانت الحال، واعلم أن البُشرى لك ما دمت أقبلت؛ فسيغفر الله لك، {فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ} مهما كان حالك فيما سبق المهم الآن أقبل على الله.

بعض الناس يعيشون في بُعد عن الله أو لا يرون أنفسهم فعلوا ما يجب أن يفعلوا وتقدم بهم السن، وليس أمامهم إلا القبر، فماذا يفعلون هم أو الناس المحيطين بهم؟ يسلّون أنفسهم ويلهونها عن التفكير في لقاء الله، والناس حولهم يقولون: لا تكتئب بل تسلّى! وتكون امرأة متقدمة في السن متوقع من مثلها أنها تستعد للقاء الله، فهم يشعرون أن تهريبها من هذا التفكير حلّ!!

لا نريد أن نوقعها في اليأس، لكنها ستموت وكلنا سنموت، المقصد أن نبشرها بمغفرة وأجر كريم نقول لها: أقبلي على الله وكل تسبيحة ستنفعك وكل تكبيرة ستنفعك، أنت مُقبلة على كريم على رحيم على غافر الذنب وقابل التوب، ستُقبلين على مَنْ يُكرمك فقط استبشري بالإقبال عليه؛ لذا في الحديث كما في البخاري: ((من أحبَّ لقاءَ اللهِ أحبَّ اللهُ لقاءَه))[3]، فالعبد يستبشر، لكن كيف سأستبشر وليس عندي أعمال؟!

ليس هذا المقصد، استبشر من أجل أن يبقى ذكر الله على لسانك، البُشرى بلقاء الله والتفكير في لقائه لا بد أن يورثا ذكر: أن غدًا سأكون عندك، غدًا سألقاك، فيبقى اللسان ذاكرًا لله والقلب حاضرًا وقت الصلاة والعبادات.

تتكلم عن أناس مؤمنين يصلون ويصومون ويذكرون الله لكن كلما جاءتهم فرصة للهروب هربوا، فنحن نقول: العملية عكسية بشّروهم بأنهم سيُقبلون على كريم فيبقى ذكره وشكره والتفكير في تفاصيل اللقاء؛ ولذا هؤلاء بحاجة إلى أن يفهموا: ماذا في جنات النعيم؟ كيف الناس في قبورهم مستبشرين بما سيلقونه؟ يفتح لهم في هذا التراب أبوابًا إلى جنات النعيم

---

(1) [سورة يس: 11]

(2) (أرأيتَ مَن عمل الذنوبَ كلَّها ولم يترُكْ منها شيئًا وهو في ذلك لم يترك حاجةً ولا داجةً إلا أتاها، فهل لذلك من توبةٍ؟ قال: فهل أسلمتَ؟ قال: أما أنا فأشهدُ أن لا إله إلا اللهُ، وأنك رسولُ اللهِ قال: تفعل الخيراتِ، وتترك السيئاتِ، فيجعلهنَّ اللهُ لك خيراتٍ كلِّهنَّ قال: وغَدَراتي وفَجَراتي؟ قال: نعم قال: اللهُ أكبرُ، فما زال يُكبِّرُ حتى توارَى) [صحيح الترغيب/الصفحة أو الرقم: 3164 | خلاصة حكم المحدث: صحيح]

(3) رواه البخاري في صحيحه (كتاب الرقاق، باب من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه، 6507)

ويشمُّون رائحة الجنة، فكيف هذا النعيم الذي هم فيه! فهذه كلها من البشرى للمؤمنين، {إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ وَخَشِيَ الرَّحْمَٰنَ بِالْغَيْبِ ۖ فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ} هات هذه، وستأتيك المغفرة في كل خطأ وقعت فيه، والآيات كثيرة في التوبة التي فيها الدلائل العظيمة التي تبشر المؤمنين.

على كل حال، نحن متعلقين برحمة الله، وباب هذه الرحمة التي نتعلق بها هو التوبة والاستغفار، والعبد مهما أحسن لن يستطيع أن يشكر الله على أقل نعمة فكيف على أعظم نعمة! فما لنا إلا أن نسير في الطريق عرجًا ومكاسير...لا بأس، فتبقى تستغفر مستبشرًا أن الله يغفر لك النقص، فنبشِّر أنفسنا ونبشِّر الناس حولنا أننا مقبلون على رب غفور ليس التعامل معه بالهروب منه إنما التعامل معه بالإقبال عليه إذا فررت ففر إلى الله {فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ}(1)

أيضا من البشارات التي يسمعها المؤمن في القرآن: **البشارة بالجنة للمؤمنين**

وهذه البشارة من أعظم ما يبشَّر به المؤمنين مثل قوله تعالى: {وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ}(2) ونحن نقرأ في وردنا هذه الآية في أول سورة البقرة في آية 25 من أوائل ما نقرأ ونمر على الآية كم مرة استبشرنا؟!

كم مرة شعرنا ما هي جنات النعيم؟ استبشر بها افرح بها اجعلها بشرى حقيقة، الله-عزّ وجلّ-يقول للنبي-صلى الله عليه وسلم-وبشر المؤمنين ألسنا مؤمنين؟ يفترض أن نستبشر بما بشرنا الله به ونفرح به، فمعنى ذلك أن المطلوب منَّا-كما مر معنا سابقًا-أن نستدعي الاستبشار لأنفسنا نأتي به، أبشر فإن في الجنة ما لا عين رأت ولا أذن سمعت، هذا عمل يفترض أن نفعله بشكل فردي، بمعنى أن كل ما قرأنا الآيات فهمنا أكثر:

ماذا في نعيم الجنة؟ ما هي أحوال أهل الجنة؟ كم هم مرتاحون؟ كم هم متمتعون؟ كم يذهب عنهم الحزن؟ كم يجدون من آثار رحمة الله في ذاك المقام العظيم؟

يجب أن نعرف بالتفصيل ثم عندما نمر على آيات فيها {وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ} بشرهم بجنات النعيم نمرر هذا الشريط الطويل الذي نعرفه ونستبشر ونفرح بما بشرنا به الله.

نحن قوم عندما تأتي علينا آيات الأوامر نقول: سمعنا وأطعنا. وعندما تأتي علينا آيات البُشرى ماذا يجب علينا أن نفعل؟ نستبشر.

نجد أنفسنا مُقصرين! مرت علينا كثيرًا {وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ}، {وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ}، مرَّت علينا كثيرًا ولا نجد لهذا المعنى في نفوسنا أثر؛ كأن الإنسان يقول: أهم شيء أن ندخل فقط جنات النعيم!

نعم، نسأل الله أن يدخلنا إياها نحن ووالدينا ووالديهم وذرارينا والمسلمين اللهم آمين، لكن هي ما وُصفت لك لتُعطّل الوصف، هي وُصفت لك حتى تملأ فؤادك بها فتحصل لك الرغبة فيها، فلما تمر آية البُشرى تستبشر بها.

أنتم بالتأكيد تعرفون أن في كتاب الله وصف دقيق لجنات النعيم، وتجد في هذه السورة ما لا يوجد في هذه السورة، هذه تكلمك عن الفضة والزخرف، تكلمك عن الذهب وكيف أن فيها صحائف من ذهب، تسمع هذه التفاصيل كلها أين هي كمنظومة؟ أين هي كمعلومة؟ أين هي كتصوّر! ليس تكييفًا إنما كمعلومات أن هناك في الجنة الناس كذا وكذا يعيشون كذا وكذا.

---

(1) [سورة الذاريات: 50]

(2) [سورة البقرة: 25]

لماذا تحتاج هذا كله؟! يكفينا أن نقول إننا نحتاج هذا كله؛ لأن الله وصفه لنا وكلمنا عنه، ولا بد أن يكون في قلبنا يقين به ومعرفة.

وأيضًا من أجل أنه عندما تأتي آيات البُشرى {وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ} أين الفرح بما بشَّرنا الله به؟! ونحن نعرف أن هذا ما هو إلا من ضعف الإيمان وضعف اليقين.

على كل حال، عرفنا المشكلة فلا بد من علاجها لا بد أن يصح الاعتقاد وتمتلئ المعاني في نفوسنا ونكون صادقين في فرحنا بما بشرنا به رب العالمين.

ومن البشارات:

- البشارة بالنصر.
- والبشارة أن مع العسر يسرًا.
- والبشارة بالمغفرة والجنة.
- أيضا بشرنا بصلاح أحوال الدنيا والرحمة إذا حصلت الاستقامة.

هذا مقصود به الترغيب في استقامة العبد على دين الله هذا مثل قوله تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا}، هذا بالنسبة لحال القبض، {وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ* نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ}(1) إذًا في الحياة الدنيا ماذا كان حالهم لما كانوا مستقيمين؟ كانت الملائكة أولياء لهم.

وإذا كانت الملائكة أولياء لهم ماذا يُتوقع؟ لمّة الملك التي تضاد لمّة الشيطان(2)، فبشر الذين آمنوا بأن أولياءهم الملائكة في الحياة الدنيا، فإذا حصلت الاستقامة حصلت ولاية الملائكة، إذا حصلت ولاية الملائكة ماذا سيكون؟ يُلقى على العبد الخير ويُحمى من أن يُلقِي الشيطان عليه الوساوس، وهنا أنتم تفهمون جيدًا أن هذه الحالة (الوسوسة) من أخطر الأحوال التي يعيشها الناس، وسوسة الشيطان وتشكيكه وتخويفه من أكثر ما يُكدر حياة الإنسان، فيبشر المؤمنين أنهم إذا استقاموا على الدين: ستكون الملائكة هم أولياؤهم وسيُحفظون من لمّة الشيطان، وهذا من الأمور العظيمة التي يشعر الإنسان بها عندما تكون خواطره خواطر خير وتمتنع عنه خواطر الشّر، عندما يأتي أحد يقول لك إنه يمكر بالناس، ويحكي لك كيف مَكر بالجار، كيف مكر بالصاحب...تقولين: كيف تأتيك هذه الأفكار؟! لكن أنت تفهمين أن ولايته لمن؟ للشيطان.

فأنت عندما تجدين نفسك سليمة، عندما ترين سلامة نفسك فهذا ليس لأنك أنت طيبة إنما لأنك في حفظ الله، وأن الله جعل أولياءك الملائكة وهذا بسبب الاستقامة، أي أنك لو فعلت هذا الفعل ستكون لك بُشرى أن الملائكة أولياؤك، وإذا كانت الملائكة أولياؤك إنما سيُطرح عليك ويُلقى على ذهنك الخير.

أيضًا من الأشياء التي يُبشر بها الإنسان **يُبشر بمعاملة الله له**، وذلك من باب وصفه-سبحانه وتعالى-لنفسه أو بالخبر عن أسماؤه وصفاته، يُبشر الإنسان بمعاملة الله-عزّ وجلّ-له، كيف يعامله الله؟

---

(1) [سورة فصلت: 30-31]

(2) رواه الترمذي (إنَّ للشَّيطانِ لمَّةً بابنِ آدمَ وللملَك لمَّةً فأمَّا لمَّةُ الشَّيطانِ فإيعادٌ بالشَّرِّ وتَكذيبٌ بالحقِّ وأمَّا لمَّةُ الملَك فإيعادٌ بالخيرِ وتصديقٌ بالحقِّ فمن وجدَ ذلِك فليعلم أنَّهُ منَ اللهِ فليحمدِ اللَّهَ ومن وجدَ الأخرى فليتعوَّذ باللَّهِ منَ الشَّيطانِ الرَّجيمِ ثمَّ قرأ الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ الآيَةَ) [سنن الترمذي/ الصفحة أو الرقم: 2988/ صححه الألباني]

تسمع في القرآن أوامر ثم تختم الآيات بأسمائه-سبحانه وتعالى-من أجل أن يعرف العبد أنه إذا عامل الله هذه المعاملة وامتثل هذا الأمر سيعامله بهذه الأسماء.

مثلًا في قوله تعالى: {إِن تُبْدُوا خَيْرًا أَوْ تُخْفُوهُ أَوْ تَعْفُوا عَن سُوءٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا}[1] {إِن تُبْدُوا خَيْرًا أَوْ تُخْفُوهُ} هذا في شأن، {أَوْ تَعْفُوا عَن سُوءٍ} أو يحصل منكم العفو عن السوء، أبشر {فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا} أبشر أنك إذا عفوت سيعفو عنك الله.

(قديرا) كأنّ هذا تمام البشرىّ أنت تعفو عن الخلق وأنت ناقص القدرة، إذا أساؤوا لك مهما كنت قادرًا عليهم وتأتي تأخذ حقك ما تستطيع أن تستوفيه أبدًا؛ لأن مهما أخذت منهم حقك يكفي أنهم ابتدؤوك بالإساءة وأشغلوك وعذبوا قلبك، مهما حصل أنت لن تأخذ حقك منهم كاملًا، فقدرتك عليهم ليست تامة، عفوك عنهم أصلًا أنت مضطر له في مواقف كثيرة!

لكن انظر لما القادر عليك تمام القدرة يعفو عنك، فأنت تعفو وأنت ناقص القدرة فيعفو عنك كامل القدرة، وبذلك تكون البشارة في مكانها، أبشر أنك إذا عفوت عفا عنك الله وهو كامل القدرة.

وهذا الكلام نقوله ونبشر أنفسنا به أن لا تندم أنك عفوت أبدًا بل استبشر، أحيانًا يكون الإنسان في سلامة من مواقف العفو، لكن يُفاجأ بعد تقدّم العمر أن أحدًا يصطدم به ويغلظ عليه، فكأنه يقال له: أبشر فإن الله أراد أن يعفو عنك ويسّر لك هذا الموقف من أجل أن يحصل منك العفو فيحصل من الله العفو عنك، فأبشر إن كنت محمي الجانب ليست لديك مشاكل مع أحد، وأنت في سلام وفجأة تفاجأ بأحد يعتدي عليك وأنت في الأصل بعيد عن هذه الأحوال وليست عندك احتكاكات، ولكن حصل هذا فأبشر من أول الأمر أن الله أراد أن يعفو عنك فقدّر لك هذا الأمر.

وهذا الأمر لو تأملناه جيدًا سنجد أن هذه البشرى تسبب سلامة القلب وخلوه لطاعة الله، وأن أصحاب الأحقاد حتى لو كانوا مُحقين واعتدي عليَّ وحصل في نفسي من الأذى والحقد ما حصل، أصحاب الأحقاد يجب أن يوجد جزء من قلوبهم منشغلة عن الله.

وأحيانًا نشعر أن لنا الحق-خصوصًا صنف النساء-لكن بعد تأمل قليل يمكن أن يكون الحق عليهم ليس لهم! فهذه مسائل الحقد ومسائل العفو لا بد أن نكون في بُعد عنها ونستعمل هذه البشرى وننتفع بها.

المسألة الأساسية التي نريد أن نختم بها أنواع العفو:

تبشير الله لنا بمعاملته...

أنت تعفو، أبشر الله سيعاملك بالعفو.

أنت تُعطي، أبشر الله سيعطيك.

أنت تُكرم له، أبشر الله سيكرمك.

أنت تكون عبدًا شكورًا لله، أبشر الله يشكرك.

تُحسن، الله يحسن إليك.

---

(1) [سورة النساء: 149]

فهذه كلها بشارات، أبشر فلا توجد معاملة تعامل بها الله-عزّ وجلّ-أو تعامل الخلق لله، إلا ويُعاملك بها الله، فأنت كن في بشرى من شأنك، ليس الناس الذين سيعاملونك أنت لا تُحسن للناس ويشكرونك، بل تُحسن؛ الله يُحسن إليك، تشكره الله يشكرك، تُعطي الله يعطيك.

ولذا يأتي المَلك في كل صباح يقول: ((اللَّهُمَّ أَعْطِ مُنْفِقًا خَلَفًا، وَأَعْطِ مُمْسِكًا تَلَفًا))[1]، فأبشر إن أنفقت سيعطيك الله.

فالمقصود أن هذا النوع من البشرى يحتاج كثير من التأمل، ترى آثار أسماء الله-عزّ وجلّ-وصفاته، عزيز تتذلل له يُعزّك ويرفعك، كريم تكرم لأجله يكرمك، مُحسن تُحسن في طاعته يُحسن إليك.

وهذا باب لا ينتهي، يحتاج لتخصيص الكلام عنه، كيف أن الإنسان يستبشر بمعاملة الله له.

في نهاية هذا النقاش الذي استمتعنا به ثلاثة أيام الحمد لله بفضل الله، لا بد أن نخرج بمنهج عملي للاستبشار...

عرفنا أن أحد العبادات المهمة التي تصف المؤمنين وتفرقهم عن المنافقين هي الاستبشار بالقرآن، كما في الآية هناك وصفين للمؤمنين في معاملتهم مع القرآن ووصفين للمنافقين في معاملتهم مع القرآن: {وَإِذَا مَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ} في حقنا كما قال ابن عطية-رحمه الله-إذا ما تعلمنا علمًا ماذا يكون أثره علينا؟ يزيدنا إيمانًا ونستبشر، وعرفنا في كلام السعدي-رحمه الله-كيف تكون زيادة الإيمان، وعرفنا أيضًا الثلاث نقاط في مسألة الاستبشار هذه عبادة لا بد من القيام بها، فما الطريق للقيام بها؟ نتفق على مجموعة طرق:

سنبدأ أولًا بما اتفقنا عليه أن في وردنا لابد من ملاحظة الأمور التي بُشّرنا بها، لا بد من ملاحظة هذه اللفظة: (بشر، بشرى) ودراسة الآيات التي تتضمن هذه البشرى، يجب أن ندرسها وندرس سياقاتها التي مرت فنفهمها ونفهم تفسيرها هذه الخطوة الأولى.

ثم أن هذه البشرى التي وردت في كتاب الله وردت في كل مكان تجدينها في كتاب الله لا بد أن يحصل بها عمل قلبي وجارحي بمعنى الله-عزّ وجلّ-يبشرنا بالقرآن بجنات النعيم، أنه يبشر المخبتين، يبشر الصابرين...ما هو المطلوب منا؟ إذا كانت البشرى لأهل الصبر لا بد من الصبر واستحضار أنني مستبشرة بالأجر دائمًا نتكلم عنه الآن يأتي موقف الصبر الذي نعيشه ونقول لأنفسنا: أبشري الله مع الصابرين، أبشري أجور الصابرين {إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ}[2] العمل هنا هو التبشير لما تفهمين الحال.

لما تحسنين، هناك عمل جديد نعمله وهو تبشير أنفسنا وتبشير الناس عندما يكونون محسنين، إحسانك هذا لا يضيع والله في كتابه بشّر المحسنين، بشر الصابرين، أنت لا تحكمي على نفسك أنك صابرة أو محسنة، أنت تقولين لنفسك: لو أحسنت سيكون لك كذا.

إذًا يُقصد بالعمل بالبُشرى أن الإنسان يستدعي البشرى-كما قرأنا في كلام ابن عادل-أنت تستدعي البشرى، أي تقول: أبشر وراء الضيق فرج، فيستدعي الإنسان البشرى لنفسه.

---

(1) رواه البخاري في صحيحه(كتاب الزكاة، باب قول الله تعالى: {فأما من أعطى واتقى، وصدق بالحسنى}، 1442) "ما من يومٍ يصبحُ العبادُ فيه، إلا ملَكان ينزلان، فيقول أحدُهما : اللهم أعطِ مُنفقًا خلفًا، ويقول الآخرُ : اللهم أعطِ مُمسكًا تلفًا"

(2) [سورة الزمر: 10]

- إذًا سنقرأ كل موطن وردت فيه الآيات ونفهمها.
- ونعرف الأعمال التي بشر الله بها والأحوال.
- ثم يأتي العمل وهو إني أبشر نفسي، وكلما دخلت في ضيق أو اكتئاب أو في أفعال من آثار فعل الشيطان أدفعه بالتبشير إلى أن نصل لشيء مهم هنا من الأعمال وهو: التبشير بجنات النعيم.

هذا من أهم ما يجب أن نخرج به من لقاءاتنا الناس-يعني أنا أتكلم الآن هذه النقطة الثالثة – من كثرة الطمع في الدنيا أصبحت لا توجد بشرى إلا في أمور الدنيا، وما زال سقف الاستبشار بالدنيا يرتفع، في الماضي كانت لعبة العيد للصغار ذاك الفرح العظيم، اليوم إذا ما أتيت له بأحدث جوال ما أرضيته! فسقف الاستبشار والطمع في الدنيا يرتفع. الحل يجب أن يكون لنا، يجب أن نترك الشباب الطائشين ونفكر في أنفسنا، نحن وفرنا هذا لهم ونحن متأثرين أكثر منهم ومهما حاولنا نداري هذا الشيء لكن هو داخل نفوسنا فما المطلوب الآن؟

المطلوب الاستبشار بالجنة وبنعيمها، يحصل هذا لما نعرض عن الاستبشار بالدنيا، لا تجعل الدنيا هي مكان البشرى، وأنا أكلمكم وخاصة الناس الذين مروا بتجارب ومواقف وذاقوا طعم كل شيء ومنْ ذاق طعم كل شيء من الدنيا يعرف أن الدنيا ما فيها شيء!

هذه حقيقة ليس كلام يائسين، لسنا يائسين من الحياة ولا زاهدين ولا قاعدين في زاوية، بل نخرج ونتمتع ونعيش حياتنا عادية، لكن الطعم الذي يتخيله الناس أنه إذا أتتك الدنيا ستفرح فرحًا عظيمًا، تفرح ثم تنام وتنهض تجد أنه انتهى الأمر، اذهب لأحسن مكان تسكنه سكنت في أحسن فندق في الدنيا وبعدها هل ستحمل جدرانه معك؟! لا، ستتركه ولو بقيت هناك أكثر من اللازم ستمل! ما الذي حصل لنا في الأصل؟ يأتي لنا هذا نستبشر به ثم نبحث عن شيء جديد نستبشر به، ونبقى نلهث نريد شيء جديد نستبشر به.

فبدل هذا اللهث رغّب نفسك فيما عند الله وهذه مسؤوليتك الخاصة، بمعنى قراءة آيات النعيم وجمعها وفهمها ومعرفة تفاصيلها هذا دورنا، وهذا كله يملأ الفؤاد! لا توجد شهوة ورغبة في الجنة بسبب الجهل بها، لأننا لا نعرفها، يأتي أحد يقول لك اسم مكان في العالم، ثم يقول لك: لا تتخيل كيف شكله ويبدأ يصف لك...بعد أن كان مجرد اسم ليس له معنى أصبح له معنى، بعدها يأتي لك بصور وكذا وكذا فيزيد الطمع وبعدها تتصفح وتبحث، فالناس لا يشتهون الأشياء بمجرد سماع أسمائها إنما يشتهونها لما يمتلئون معرفة عنها.

وقد أسأنا إلى أنفسنا تركناها تشتهي الدنيا، فالقدرة على الاستبشار موجودة في أنفسنا لكن أهلكناها في الدنيا!

علينا أن نعرف الجنة ونعرف تفاصيلها ونبذل جهودنا في هذا، هذه مسؤوليتنا حتى ترقى النفس، اصبري على نفسك حتى ترقى إلى أن تشتهي الجنة، وشهوة الجنة هذه ما تأتي إلا من قوة يقين، لا نريد أن نكذب على أنفسنا نريد الشهوة الحقيقة، تفتحين عينيك تتمنين أنك تصبحين في جنات النعيم، من أجل أن يحصل جدّ في العمل، الله-عزّ وجلّ-رغبّنا في كتابه

فالمطلوب منا بعدما نقرأ الآيات التي فيها البشرى في الدنيا وكل أنواع البشرى أن يبقى جزء مهم من البشرى لا نهمله هذا بنفسه عماد: الدنيا أعطِها ظهرك واستبشر بشأن الآخرة واقرأ في آيات النعيم واقرأ بالتفصيل وافهم السور التي وردت في النعيم حتى يمتلئ الفؤاد بها فتجد شهوة للجنة حقيقة.

نسأل الله أن يرزقنا وذرارينا هذه الشهوة فيقوى في قلوبنا اليقين ونُقبل على ربّنا محبّين راغبين في لقائه، اللهم آمين.

انتهت اللقاءات الثلاثة بفضل الله...

الفهرس

اللقاء الأول 1
اللقاء الثاني 16
اللقاء الثالث 32